ISSN 2348 – 716X

مجلة المشاهد

لكناؤ

AL - MUSHAHID عربية شهرية جامعة محكمة

October 2021

تشرين الأول ٢٠٢١م/صفر المظفر وربيع الأول ١٤٤٣هـ

العدد التاسع
السنة السابعة

العدد الخاص

بأدب الرحلات في تضاريس الهند الممتعة

(ملفّ خاصّ وحصريّ عن زيارة الأديبة نعيمة المشايخ وابنتها د.سناء الشّعلان للهند بمناسبة انتقال نعيمة المشايخ إلى بارئها في يوم 2021/9/12. تغمّدها الله برحمته، وألهم ابنتها د. سناء الشّعلان جميل الصّبر والسّلوان.

مع العلم بأنّ مجلّة (المشاهد) الهنديّة لها السّبق الحصريّ في نشر هذه المادّة المخطوطة التي لم تُنشر بعد).

مجلس الثقافة والمعارف، الجامعة العليمية
بلدة جمدا شاهي، مديرية بستي، الهند

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة المشاهد لكناؤ
عربية شهرية جامعة محكمة

العـــدد التاســـع السنـــة السابعـــة
تشرين الأول ٢٠٢١م/ صفر المظفر وربيع الأول ١٤٤٣هـ

AL - MUSHAHID
ARABIC MONTHLY
Run by: Al-Ehsan Educational and Welfare Society, Lucknow, India

قيمة الاشتراك السنوي
٢٥٠ روبية للهند
٧٠ دولاراً بالبريد الجوي
ثمن النسخة ٢٥ روبية

Editor in Chief:
Anwar Ahmad

الأفكار الواردة في المجلة تعبّر عن آراء كاتبيها،
ولا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة

عنوان المراسلة
Dr. Anwar Ahmad Khan Baghdadi
Principal, Darul Uloom Alimia
Jamda Shahi, Distt. Basti
Pin code.272002 (U. P.) India
E-mail: almushahid2014@gmail.com
anwaralbaghdadi@gmail.com
Web: www.almushahid.in
Mob. WhatsApp: +91- 7800871187
Mob. +91- 9450437092

الجامعة العليمية في سطور

تأسّست مدرسة صغيرة في بلدة جمدا شاهي، في شهر يناير عام 1952م حاملةً اسم الداعية الإسلامي الكبير خليفة الإمام أحمد رضا خان القادري، الشيخ عبد العليم الصديقي الميرتي المدني رحمهما الله تعالى.

وتمّ وضع حجر الأساس لبِناية أُولى في 5 جُمادى الأولى سنة 1372هـ/ 21 يناير عام 1953م، باسم "المدرسة العليميّة العربية".

وبجهود الشيخ العلامة عبد الله خان العزيزي رحمه الله قفزت قفزةً هائلةً لتصبح كلّيةً إسلاميةً –دار العلوم- فيها مبانٍ شامخة، وخرّيجوها ذَوُو كفاءاتٍ عاليةٍ، ولها سمعةٌ طيّبة بين أوساط الخاصّة والعامّة، ومَا زَالتْ تخطو خطواتٍ حثيثةٍ نحو المستقبل الزّاهر.

مجلة المشاهد لكناؤ

مجلة عربية شهرية جامعة AL - MUSHAHID

Run by: Al-Ehsan Educational and Welfare Society, Lucknow, India

العدد التاسع السنة السابعة تشرين الأول ٢٠٢١م/صفر المظفر وربيع الأول ١٤٤٣هـ

الهيئة الإدارية

رئيس التحرير

د/ أنوار أحمد البغدادي

Mob. WhatsApp: 7800871187

مدير التحرير

د/محمد معراج الحق البغدادي

Mobile: +91- 9451797079

مسؤول التوزيع

محمد طيب العليمي

محمد عظيم الأزهري

Mob: +91- 7565017860

غلام غوث العليمي

المشرف العام

الشيخ محمد شفيق الرحمان العزيزي

المفتي بهولندا

مساعد التحرير

المفتي محمد نظام الدين القادري

Mob: +91- 9918414642

الأستاذ محمد ذكي الله المصباحي

Mobile: +91 - 9939861908

الأستاذ محمد نعيم المصباحي

Mobile: +91- 9899672293

سيد نور محمد اللكنوي

الهيئة العلمية

- الأديبة الشهيرة الدكتورة سناء شعلان، الأردن
- الأستاذ الدكتور سيد عليم أشرف الجائسي
- الشيخ محمد مختار الحسن البغدادي
- الشيخ ياسين أختر المصباحي، دلهي
- الشيخ المفتي ضياء الدين النقشبندي، حيدرآباد
- الدكتور سعيد بن مخاشن، حيدرآباد

State Bank of India

Al-Mushahid A/C: 34893160736 IFSC Code SBIN0003223

Branch Faizabad Road Nishat Ganj Lucknow.

المحتويات

العدد التاسع السنة السابعة تشرين الأول ٢٠٢١م/ صفر المظفر وربيع الأول ١٤٤٣هـ

الافتتاحية:

كلمة الملف 5

بقلم: رئيس التحرير

أدب الرحلات:

تعريف بالأديبة الرّاحلة نعيمة المشايخ: والدة الدكتورة سناء الشعلان 7

إلى أمّي الرّاحلة الطّاهرة نعيمة المشايخ 8

بقلم ابنتها البارّة بها حيّة وميّتة: د. سناء الشعلان/ الأردن

أنا وأمّي نعيمة المشايخ في الهند وكشمير 10

بقلم: د. سناء الشعلان/ الأردن

فتنة العجيب والغريب... 14

بقلم الأديب والنّاقد: عباس داخل حسن/ فنلندا

أمّي نعيمة المشايخ تقرّر أن تكون رفيقتي... 25

بقلم د. سناء الشعلان/ الأردن

أنا وأمّي نعيمة المشايخ في كشمير 28

بقلم د. سناء الشعلان/ الأردن

أمّي نعيمة المشايخ في مواجهة الطّعام الهنديّ الحارّ 33

بقلم د. سناء الشعلان/ الأردن

أمّي نعيمة المشايخ في تاج محلّ 34

بقلم د. سناء الشعلان/ الأردن

أسعد وداوود ابنا أمّي نعيمة المشايخ 42

بقلم د. سناء الشعلان/ الأردن

أنا وأمّي نعيمة المشايخ في حفل زفاف هنديّ 44

بقلم د. سناء الشعلان/ الأردن

أمّي نعيمة المشايخ والفيل الهنديّ 48

بقلم د. سناء الشعلان/ الأردن

أمّي نعيمة المشايخ تفتح مدينة كلكتا 52

بقلم د. سناء الشعلان/ الأردن

البخاريّ ابناً لأمّي نعيمة المشايخ في مدينة السعادة 54

بقلم د. سناء الشعلان/ الأردن

الافتتاحية

كلمة الملف

بقلم رئيس التحرير

الدكتورة سناء شعلان شخصية أدبية شهيرة، وهي في غناء عن التعريف بها، بل كأنها علم وفي رأسه نار، كل من له صلة بالأدب وخاصة الأدب الحديث يعرفها، ويعرف قيمة أدبها، ولهذا نغض الطرف عن الحديث عنها ونقتصر على تقديم التعازي الخالصة إليها على وفاة أمها التي كانت ظهرا وسندا وحياة لها؛ وذلك لأنها منها كانت تكتسب قوة في الحياة، الحياة العادية والحياة الأدبية كلتيهما، كما كانت منها تستلهم قوة في الإبداع، والإبداع هو الحياة.

اقترحت علينا فضيلة الدكتورة الأديبة الشهيرة السيدة سناء الشعلان أن ننشر عددا خاصا بأدب الرحلات عندها وعند أمها المرحومة نعيمة المشايخ بمناسبة تابين أمها الحبيبة، التي انتقلت إلى بارئها في يوم 2021/9/12. تغمّدها الله برحمته، وألهم ابنتها د. سناء الشّعلان جميل الصّبر والسّلوان. فقبلنا اقتراحها الجميل هذا، بكل رحب وسعة لما لها من مَن وكرم وفضل وفور ودور عظيم في إثراء وتقوية مجلة "المشاهد" الفتية، مع التقدير الكبير لجهودها الجبارة التي تبذلها في مواصلة المسيرة الصحفية في الهند النائية عن مهبط اللغة العربية، والشكر الجزيل لحسن عنايتها التي لا تشح بجودها علينا، فبارك الله فيها.

هذا، ومن جانب آخر تهدف مجلة "المشاهد" إلى إبراز مكانة الهند في العلوم والثقافة، ولهذا تخصّص عمودا خاصا بعنوان "هنديات"، تُنشر فيه مقالات ودراسات عن الهند، ولما أن هذا الملفّ يتعلّق بأدب الرّحلات في تضاريس الهند العلمية والثقافية، فاكتسب الاقتراح أهمية فوق أهمية مما دفعتنا إلى أن نوشح المجلة بالملف الخاصّ والحصريّ عن زيارة الأديبة نعيمة المشايخ وابنتها د. سناء الشّعلان للهند، مع العلم بأنّ المادّة المخطوطة لم تُنشر بعد.

والعناوين التي يشمل عليها هذا الملف الخاص، هي:"كلمة الملف"، و"تعريف بالأديبة الراحلة نعيمة المشايخ: والدة د. سناء الشعلان"، و"إلى أمي الراحلة الطاهرة نعيمة المشايخ (شهادة إنسانية من الابنة الفانية إلى الأم الراحلة)"، و"أنا وأمي نعمية المشايخ في الهند وكشمير (شهادة إبداعية عن رحلاتنا المشتركة)"، و"فتنة العجيب والغريب في رحلة أم بطبوطة تصلي في جبال الهيمالايا"، و"أمي نعمية المشايخ تقرر أن تكون رفيقتي في رحلتي إلى الهند وكشمير". و"أنا وأمي نعمية المشايخ في كشمير"، و"أمّي نعيمة المشايخ في مواجهة الطّعام الهنديّ الحارّ"، و"أمّي نعيمة المشايخ في تاج محلّ"، و"أسعد وداوود ابنا أمّي نعيمة المشايخ"، و"أنا وأمّي نعيمة المشايخ في حفل زفاف هنديّ"، و"أمّي نعيمة المشايخ والفيل الهنديّ"، و"أمّي نعيمة المشايخ تفتح مدينة كلكتا"، و"البخاريّ ابناً لأمّي نعيمة المشايخ في مدينة السعادة".

وأخيرا لا يسعنا إلا أن نشكر فضيلة الدكتورة سناء الشعلان على إهدائها هذه التحفة الأدبية الجميلة، فبارك الله فيها وفي أعمالها، وجزاها الله تعالى خير الجزاء.

كتبه: أنوار أحمد خان البغدادي

16 أكتوبر 2021م

جمدا شاهي، بستي، الهند

تعريف بالأديبة الرّاحلة نعيمة المشايخ: والدة الدكتورة سناء الشعلان

- الاسم: نعيمة عبد الفتاح إبراهيم المشايخ
- الجنسيّة: أردنية الجنسية من أصول فلسطينيّة
- الديانة: مسلمة
- تاريخ الميلاد :1953/5/13
- تاريخ الوفاة: 2021/9/12

الأديبة نعيمة المشايخ، قاصّة وكاتبة للأطفال أردنيّة من أصول فلسطينيّة، تنحدر من (بيت نتيف) من مدينة الخليل الفلسطينيّة، وهي والدة الدكتورة سناء الشعلان، وهي تنتمي لأسرة المشايخ التي برز فيها الكثير من الكتاب والأكاديميون والعلماء والإعلاميون، وهي أمّ أردنيّة مخلصة لأسرتها، وهي أمّ لاثني عشر ابنا وابنة، أكبرهم سنا د. سناء الشعلان، أمّا الآخرون فهم ست بنات، وخمس أولاد، يتوزّعون على قطاعات مختلفة في خدمة الوطن، ففيهم الدكتور والمهندس والمعلّمة والموظّف الحكوميّ والمبرمج والصّحفيّ والفنان والأديب؛ ولذلك هي حاصلة على لقب الأمّ المثاليّة للعام 2017م من مبادرة أكرموهم الأردنيّة.

لها العشرات من مخطوطات النّصوص السيّريّة والمذكّرات الأدبيّة والقصص القصيرة وقصص الأطفال ومسرحيّات الأطفال، كما لها كتابات مخطوطة بين قصة ومشروع رواية وسيرة أدبيّة، وكانت قبل وفاتها في 2021/9/12 على وشك إصدار روايتها المشتركة الأولى مع ابنتها د. سناء الشعلان.

هي أديبة مثقّفة تؤمن بأهميّة دورها في الأمومة إلى جانب دورها الإبداعيّ في المجتمع، تشارك أبناءها وبناتها جميعا فعالياتهم الثّقافية والاجتماعيّة والحياتيّة، وهي كذلك شغوفة بالأدب والعمل الإنسانيّ والنّشاط النّسويّ؛ لذلك هي تظهر في الفعاليّات الثّقافية الأردنيّة والعربيّة والعالميّة، وكثيرا ما ترافق ابنتها د. سناء الشعلان في رحلاتها الثقافية والإبداعيّة حول العالم في شراكات إبداعيّة وترحاليّة واستكشافيّة بوصفها مبدعة وأمّ لمبدعة كذلك.

أخيرا كانت لها مشاركة عن اللغة العربيّة واستخدامها في مؤتمر "نهرو وآزاد والدولة العربية والفارسيّة" في قسم اللّغة العربيّة في جامعة كولكتا في الهند، ومشاركة في الورشة الأردنيّة الإبداعيّة للطّلبة الفائزين على مستوى المملكة في مسابقة الإبداع الأدبيّ (الشّعر والقصة والمقالة والخطابة)/ وورشة عمل حول فنّ كتابة المقالة، ومشاركة في حفل إشهار رواية (أصدقاء ديمة) في جائزة كتارا في قطر، فضلا عن زيارتها الثّقافيّة والأكاديميّة في دعوات رسميّة في الجزائر ومصر ولبنان وسوريا والسّودان والعراق وتركيا وقطر والهند وكشمير، وغيرها من دول العالم.

إلى أمّي الرّاحلة الطّاهرة نعيمة المشايخ

(شهادة إنسانيّة من الابنة الفانية إلى الأمّ الرّاحلة)

بقلم ابنتها البارّة بها حيّة وميّتة: د. سناء الشعلان/ الأردن

وراء سناء الشعلان الأديبة الشّهيرة والأستاذة الجامعيّة النّاجحة والمرأة الدّافئة المحبّة للحياة هناك امرأة لا تسكن الظّل، لكنّها تخلق النّور، وبه وله وفيه تعيش؛ إنّها أمّي الطّاهرة التي لم تهبني الحياة بشكلها البيولوجي التّقليدي؛ فهذا أمر مفروغ منه، وكم من واهب حياة سلبها بقسوة فيما بعد! ليس وهب الحياة فضلاً، لكن صنع الحياة وتشكيلها على الفضيلة وخلق أسباب السيرورة هو التمثيل الحقيقيّ لكلّ جوانب العظمة والامتنان، أمّي هي من كوّنت بوشائج روحها ودفقات قلبها ونبض عطائها سناء الإنسانة، كوّنتها على ما تشتهي، صنعتها على وفق ملامح روحها، فوهبتها الجمال الرّوحي في أجمل حالته، والقلم هو أجمل ما وهبتني أمّي في هذه الحياة.

أمّي المكلّلة بالحكايا، هي من قالتْ لي ستكونين كاتبة شهيرة، هي من قالت لي اكتبي دون توقّف، هي من زرعت نفسي قصصاً وحكايات متحقّقة بها، هي من كانت تحوّل مستحيلي إلى ممكن، وحزني إلى غبطة، ويأسي إلى طاقة، وخوفي إلى شجاعة، بقلب أمي عشتُ طوال حياتي؛ لذلك فاض قلبي عليّ وعلى كلّ الدّنيا بالحبّ والعطاء والعمل.

لم أكنُ قدرها، بل كنتُ خيارها من كلّ الخيارات؛ لذلك تفانت لأجل خيارها المتمثّل فيّ؛ أوّل كتاب كان هدية منها، أوّل قصّة كتبتها كانت بدعمها، هي من كابدت الحياة الصعبة لتمدّني بكلّ الدعم المالي

والعاطفي والمعنوي، كانت القارئ الأوّل والنّاقد الأوّل والحبّ الأوّل في حياتي.

هي من كانت تدخل معي عوالم قصصي لنختار سويّاً جمل القصص أغرب الكلمات أبعد الوجوه عن النّور، هي من علّمتني أن أقول لا دون خوف، هي من علّمتني أنّ العار الكبير في الحياة أن لا نكون إيّانا، لذلك بذلت كلّ حياتي لأجل أن أكون إيّاي مهما خالف ذلك أعراف القبيلة، وخاصم نواميس المجتمع، واصطدم مع قوى الاستلاب والامتهان.

أمّي تراني بطلها الخرافي الذي يملك مفاتيح الكلمة والسّحر والبيان، ويجيد أن يفرح قلبها؛ لذلك كلّ مدائن روحها الطّاهر تضجّ بتماثيل تقدير ومحبّة لبطلتها الحبيبة سناء.

تسمّيني سونا؛ واسمّيها ملاكي الطّاهر، وبين اسمي واسمها تسكن ذاكرتي التي تضجّ بمستحيل ماقدّمته أمّي لأجلي، لقد قايضت الزّمن بشبابها وجمالها وصحّتها، وأخّذت منه الفرح والسّعادة والنّجاح؛ لتهبها كاملة إليّ، وحدها من تعرف كيف يكون العطاء، وحدها من قالت: لا للموت وللسرطان عندما داهماها منذ سنوات وأنا طالبة صغيرة في الجامعة في مرحلة الدراسة الأولى، وقاومتهما، ورفضت الرّحيل كي لا تتركني يتيمة وحيدة في هذه الحياة، وحدها من تبتلع آلام السّرطان، وتستمهل الموت ساعة تلو ساعة كي لا تسقني حنظل اليتم.

أمّي قهرت الموت لأجلي، أمّي سرقت السّعادة من الأقدار لأجلي، أمّي علامتي على أنّ الله جميل كريم يهبني الجنّة في الأرض كما يهبنا إيّاها في السّماء إن أحسنا البحث عن عطاياها في حيواتنا، أمّي هبة الرّب لي، وما أجمل هبات الرّب عندما تكون على شكل قلوب أمهاتنا!!! أمّي تباركت حيّة وميّتة، وتعاليت في السّماء والأرض، اللهم فاستجب لي، اللهم آمين.

أنا وأمّي نعيمة المشايخ في الهند وكشمير

(شهادة إبداعيّة عن رحلاتنا المشتركة)

بقلم: د. سناء الشعلان/ الأردن
selenapollo@hotmail.com

لا أحبّ الكتابة عن رحلاتي، ولكنّني أفضّل أن أعيشها، وأن أنغمس فيها حدّ التّلاشي في تفاصيلها دون أن أنشغل في تسجيل وقائعها، أو توثيق أحداثها في كتب خاصّة بذلك، وهذا كان السّر الأكبر وراء استمتاعي بالرّحلات، وبذلي النّفيس والأنفس لأجل القيام بها مسكونة بفكرة معايشة البشر وحيواتهم، واقتناص أعمار أخرى فوق عمري الهبائي مقابل أعمار البشريّة وعمر هذا الكوكب الضّائع المجهول في كون لا أحد يعرف حقيقة حدوده ومجاهله.

لقد تعلّمتُ في السّفر أن أرهف مشاعري وحواسي لكلّ ما يدور حولي، كما تعلّمتُ أنّ السّفر في الجغرافيا هو في حقيقة الحال سفر في التّاريخ والثّقافة والإنسان والتّجربة والخبرات، كما هو اكتشاف لي؛ ففي كلّ مرّة أسافر فيها أكتشف نفسي مرّة تلو أخرى، كما تعلّمتُ أنّ اكتشاف الذّات والإنسان هي مهّمة شاقّة ومخيفة وغير مأمونة المآلات، تماماً كما هي تجربة لذيذة لا تدانيها أيّ لذّة خلا تفتّق الرّوح والجسد عن ولادة إنسان آخر.

لكن هذه الخبرات جميعها لم تغرني على امتداد سنين طويلة لتوثيق رحلاتي وأسفاري وخبراتي في وثيقة سرديّة مكتوبة، إلى أن نجح صديقي اللّدود الأديب والنّاقد العراقيّ عبّاس داخل حسن في أن يقنعني بذلك، ولا أعرف كيف استطاع ذلك؟ وأنا من كنتُ أصرّ على رفض الكتابة في هذا

الأدب، وأختزل تجربتي كاملة فيه في صور فوتوغرافيّة التقطها في رحلاتي، وأجيب كلّ من يقترح عليّ تدوين رحلاتي على امتداد عقدين من الزّمان أو نيف، بأنّني لا أحبّ أدب الرّحلات، كما أمقت أدب السّيرة الذّاتيّة.

لكن تعويذة سحريّة ما من صديقي عباس داخل حسن قد جعلتني أمسك قلمي، وأبدأ في الكتابة، عندها فقط بدأتُ أعود إلى تجربتي كاملة، وطفقتُ أخرج ما في جعبتي من عجائب السّفر، وغرائب الرّحلات، ومُلح التّطواف في أرض اللّه الواسعة الصّغيرة في آن، وراق لي أن أشارك القارئ بتجربة الصّداع المزمن العذب الذي اسمه التّرحال والرّحلات.

لعلّ فنّ الرّحلات هو فنّ ذكوريّ بالدّرجة الأولى من حيث التّأريخ له؛ إذ كتب الرّجال الرّحالة في هذا الفنّ أكثر ممّا كتبت المرأة فيه؛ لأنّ الرّجل كان صاحب الحظوة والكأس المعلّى في خوض غمار تجارب السّفر بحكم ذكورته المسيطرة التي فتحت الآفاق له، وتركت المرأة محبوسة على رعاية البيوت والأطفال والحقول، ولكن المرأة قرّرتْ أخيراً أن تكتب في هذا الحقل عندما شدّت رحالها أنّى شاءت السّفر، وكانت لها رحلاتها الخاصّة، ومشاهداتها المتفرّدة، بعيداً عن سجون الأنوثة، ووصايات الذّكورة.

هل للمرأة عينان مختلفتان عن الرّجل في الرّؤية والاكتشاف؟ الإجابة التي أؤمن بها، هي أنّها تملك عينين مختلفتين؛ ولذلك تكتب بشكل يختلف عمّا قد يكتب الرّجل به في الشّأن ذاته؛ لأنّها ترى بطريقتها الخاصّة، وتحاكم العالم انطلاقاً من حقيقة وجودها وتكوينها، وتكتشف كلّ شيء بحكم دهشتها، مفارقة الواقع المتكشف لاعتيادي تفاصيل حياتها.

تجربتي الأنثى في تدوين رحلاتي إلى كشمير والهند هي في حقيقة الحال تجربة أنثويّة مزدوجة؛ إذ عاينتُ هذه التّجربة عبر أكثر من رحلة في العامين 2016- 2017 مع والدتي السّيدة نعيمة المشايخ التي رافقتني في هذه

الرّحلة، لنخلق سوّياً تجربتنا الاستثنائيّة في هذا الصّدد؛ فهي رحلة المرأة مع المرأة، والأمّ مع الابنة، والابنة مع الأمّ، والكاتبة مع الكاتبة، والمبدعة مع المبدعة في اكتشاف عوالم أخرى، ومجاهيل إنسانيّة مغرقة في أدغال الوجود البشريّ المعقّد الملغز.

ولذلك هذه الكتابة التّوثيقيّة لرحلاتي وأمّي في كشمير والهند هي بقلمي من حيث الكتابة والرّسم اللّغويّ والتّوثيق السّرديّ، ولكنّها في حقيقة الحال هي نتيجة المعايشة الثّنائيّة لي ولأمّي في هذه الرّحلات، وهي تجسيد لانطباعاتي وانطباعتها، ورصد لمشاهداتي ومشاهداتها، ونقل أمين لما حدث معي ومعها في هذه الرّحلات.

ولا أبالغ في القول إنّ ما كتبته بقلمي في هذه الرّحلة، ما هو إلاّ صدى صوت أمّي وهي تحدّث الأقارب والأهل والأصدقاء والجيران عن رحلاتها بصوتها الحنون المنفعل المتحمّس الذي يريد أن ينقل للمستمع لها كلّ ما رأى، وسمع، وأحسّ.

فعيون أربع ترى الكثير إن كانت ملك لأمّ وابنتها، وأيّ أمّ؟ وأيّ ابنة؟ إنّها أمّ رؤوم تطوف الدّنيا مع ابنتها بقدميها الموجوعتين كي لا تفارق ابنتها، وإنّها ابنة تحبّ أن ترى العالم بعيني أمّها، وعندما ترى دهشة الاكتشاف فيهما تشعر بأنّها أعظم فاتحة في الكون.

هذه الرّحلة هي سياحة في تجربة بنوّتي لأمي، بقدر ما هي تجربة رفقة الأم لابنتها الرّحالة، وترّحلها لأجلها، لا لأجل الاكتشاف والمغامرة والمعرفة حسب، كما هي سياحة إنسانيّة في أرواح بشر قابلتهم، وأفاضوا عليّ في هذه الرّحلة بأوقاتهم ومعارفهم وعلومهم ومحبّتهم، وأدخلوني إلى عوالمهم مكرّمة معزّزة، وشاطروني الدّرب، وعطّروه لي بصحبتهم الزّكيّة المخلصة، فالشّكر الكبير للأرواح الجميلة التي رافقتني في هذه الرّحلات بكلّ محبّة وعطاء: أ. د مجيب الرّحمن، وأ. د محمد ثناء اللّه النّدويّ، وأ. د محمد إشارت علي ملا، ود. محمد أشرف علي، ود. عرفاني رحيم، والباحث أ. أسعد جمال، والباحث أ. عُبيد الرّحمن البخاريّ.

أمّ بطبوطة وابنتها بطبوطة رحّالتان من طراز خاصّ؛ ولهما تجارب مختلفة في التّطواف في أرض اللّه؛ إذ الأمّ وابنتها تعاينان الحياة معاً، وتعيشان التّجربة ذاتها، وتقتسمان المشاعر المتولّدة عينها؛ فتتحوّل أمّ بطبوطة إلى حكّاءة شعبيّة تروي مشافهة ما رأتْ لمن حولها، وتروغ ابنتها بطبوطة إلى القلم والورق لتسجّل مشاهداتهما وتجاربهما في سِفْر الكلمة؛ لتكون وثائق مشاهدات حقيقيّة منغمسة في تجارب إنسانيّة خاصّة في عالم أصبح متاحاً كاملاً صوتاً وصورةً بمجرّد الضّغط على أيّ محرّك بحث في العالم الإلكترونيّ الافتراضيّ في الشّبكة العنكبوتيّة التي ما تركتْ للرّحالة من دهشة، سوى دهشة التّلقّي والمعاينة والتّفاعل وتكوين الانطباع ومعايشة اللّحظة، في حين استولتْ هي على رصد الحقائق صورة تلو صورة، بتسجيل مرئيّ كامل عزّ نظير في الماضي في زمن الرّحالة القدامى.

عندما شرعتُ في تدوين رحلتي هذه في كشمير والهند عرفتُ سبب هروبي الدّائم من الكتابة في أدب الرّحلات؛ لعلّي لم أرغب يوماً في أن أفتح باب نفسي على العلن، وأن آخذ القرّاء إلى حياتي الشّخصيّة، وإلى مكابداتي الذّاتيّة، وأن أشاركهم كثير دموعي ووجعي وخيبات أملي وقليل فرحي وبهجتي؛ ضنّاً بهم على الحزن، وهم من يعتقدون أنّ الرّحلات هي فرح موصول، وسعادة كاملة، وتجربة محمّلة بالهدايا والمفاجآت السّارة، وكلّ ما لذّ وطاب. في حين أنّ الحقيقة عكس ذلك في معظم الأوقات.

ولكنّني اكتشفتُ فيما بعد أن المشاركة في التّجربة هي تجربة جديدة أخرى، ورحلة ممتعة جديدة لا أريد أن أحرم نفسي منها، كما لا أريد أن أحرم غيري منها.

لقد كنتُ هناك، والآن أنا هنا. أين يكون هناك؟ وأين يكون هنا؟ لا أحد يعرف؛ فالعالم ثابت، والرّؤى مختلفة، وهنا تكمن اللذّة.

فتنة العجيب والغريب في "رحلة أمّ بطبوطة تصلّي في جبال الهيمالايا" للدكتورة سناء شعلان

بقلم الأديب والنّاقد: عباس داخل حسن/ فنلندا

"إنّ من يفتح قلبه للمحبّة يستطيع أنْ يسمع بقلبه، وأنْ يحفظ في ذاكرته": القدّيس أوغسطين

في البدء لا بدّ من الاعتراف بأنّني قد بلغتُ غاية مرادي من إلحاحي المستمرّ على د. سناء شعلان في مناسبات عديدة بأنْ تكتب عن رحلاتها المتعدّدة، وهي قد بلغت العشرات بوصفها أستاذ زائر وضيف شرف في الكثير من الجامعات العربيّة والعالميّة، والمؤتمرات العربيّة والدّوليّة والفعاليّات الثّقافيّة والفكريّة المتعدّدة، أو عبر أسفارها المتعدّدة الأغراض والمناسبات الثّقافية التي تُدعى إليها، مثل إشهار أعمالها الأدبيّة، أو فوزها بجوائز إبداعيّة ونقديّة وبحثيّة، أو ترجمة بعض أعمالها الأدبيّة، أو حضور مناقشة رسائل جامعيّة عن إعمالها؛ إذ لم تحظ أديبة عربيّة معاصرة بما حظيتْ به الدّكتورة سناء شعلان من اهتمام بحثيّ ونقديّ بأعمالها الإبداعيّة التي كانت موضوعاً لدراسة عدد من الرّسائل الجامعية "الماستر/ والدكتوراة"؛ إذ أجزم أنّ لها حصة الأسد بين الكتّاب العرب المعاصرين في هذا الشّأن، وما زال هناك الكثير من الدّراسات قيد الإنجاز في حوزة طلبة الدّراسات العليا عن أعمالها في ماليزيا والهند وباكستان وأوروبا وأمريكا والجامعات العربيّة.

وفي كلّ مرة تكتب إضاءات مقتضبة، أو تنشر صوراً توثيقيّة، أو مقاطع "You Tube" لأسفارها التي تثير فضولي، وتجعلني ألحّ عليها من جديد بأنّ تشرع في كتابة أخبار رحلاتها وأسفارها وتطوافها في الأرض؛ وجوهر إلحاحي هو إيماني العميق والمخلص بأنّ النّصوص هي أقوى المنجزات

التي تبقى مع الأركولوجيا؛ فلولا رقم الطّين والكتابة على الحجر قبل اختراع الورق والطّباعة، لما حُفظتْ حياة الحضارات القديمة الأولى وإنجازاتها، لتكون بين أيدينا اليوم، وعلى الرّغم من رغم ذلك ضاع الكثير منها؛ ممّا أحدث فراغات قاهرة، وبقيت حلقات مفقودة تتكأ توقنا للألغاز المؤرّقة لوجود الإنسان الأزليّ، وتثير هباب أسئلتنا الوجوديّة عن ذواتنا، وعن الآخر وتاريخ المجتمعات الأولى التي بنتْ أعظم الحضارات الإنسانيّة التي لم نفكّ أسرارها جميعاً.

إنّ أوّل رحلة مدوّنة في التّاريخ هي رحلة كلكامش التي تُعدّ حجر الأساس العظيم للملحمة الإنسانيّة الأولى؛ فهي رحلة البحث عن عشبة الخلود ومعنى الإنسان والموت، ومن بعد توالت رحلات الأنبياء، كما تروي قصص الأنبياء والكتب السّماويّة.

إنّ طبيعة التّرحال ذات طبيعة بشريّة سببيّة في بحث الإنسان عن مبتغاه ووجهته التي يرومها؛ لتحقيق غرضه الذي يريد الظّفر به، ويغامر من أجله متحمّلاً عناء السّفر ومخاطر المغامرات المميتة أحياناً.

"هو الذي رأى كلّ شيء، فغني بذكره يا بلادي
وهو الذي عرف الأشياء جميعها، وأفاد من عبرها
وهو الحكيم العارف بكلّ شيء
لقد أبصر الأسرار، وعرف الخفايا المكتومة
وجاء بأنباء أزمان ما قبل الطّوفان
لقد أوغل في الأسفار البعيدة حتى حلّ به الضّنى والتّعب
فنقش في نصب من الحجر كلّ ماعاناه وماخبره" (1)

لقد آمنتُ بأنّ ما تنشره الرّحالة سناء شعلان من إضاءات ومقتطفات مقتضبة عبر الوسائل التّواصليّة المتاحة لنا ينطوي على الكثير من الاكتشافات والمشاهدات القيمة ثقافيّاً ومعرفيّاً، لكنّها مبتورة، وأنّ ما وراء الأكمة ما ورائها من سيل جارف من المغامرات والمواقف والمرئيّات التي تكتنزها شعلان في ذاكرتها وإرشيفها من خلال لقاءاتها ومشاهدتها الحيّة لأماكن لطالما شغلتْ خيالنا، وقرأنا عنها، وشدّ الرّحالة أمتعتهم إليها قديماً وحديثاً.

وفي كلّ مرّة ألحّ عليها للكتابة عن رحلاتها، يأتي جوابها المحبط لي: "لا أحبّ أدب الرّحلات؛ إذ لم يأتِ بجديد، كما أنّني لا أحبّ كتابة المذكّرات أو السّير الذّاتيّة".

وأخيراً ذات مساء مفاجئ لي وجدتُ على بريدي الالكترونيّ رسالة من سناء شعلان ودعوة منها لي لقراءة فصل من "رحلة أمّ بطبوطة تُصلّي في جبال الهيمالايا"، ثم توالت النّصوص، وكلّ فصل يحمل غواياته الإبداعيّة والفنّيّة والجماليّة بأسلوب متأنّق في غاية التّرف، وفيه من الإمتاع ما فيه ممّا يستحقّ التّقريظ دون أدنى شكّ، ويجبرني على إعادة قراءته مرّات عديدة، وبقيتُ قابضاً على جمرة إلحاحي المستميت عليها بتزويدي بفصول أخرى من شدّة إعجابي بها، وشعرتُ بصرخة بداخلي تقول للشّعلان: "ابقي على كرهكِ لأدب الرّحلات، واكملي كتابة الرّحلة"، وكتبتُ لها نصّ هذه الصّرخة، وأرسلتها لها على البريد الالكترونيّ، واستمر صيب الفصول يتوالى على بريدي الالكترونيّ من طرف شعلان.

بوصفي قارئاً وناقداً متابعاً للأديبة الدكتورة سناء شعلان، وصديقاً لها يقاسمها الكثير من الأفكار والآراء المشتركة، فلا يسعني إلاّ أنّ أهتبل هذه المناسبة لتقديم الشّكر والعرفان لها؛ لأنّها منحتني فرصة قراءة باكورة رحلاتها المدوّنة "أمّ بطبوطة تصلّي في جبال الهيمالايا" ولاستجابتها للكتابة عن رحلاتها؛ ليجد فيها القارئ متعة القراءة ولذّة موصولة؛ لما فيها من تنوّع واختلاف ومرآة صادقة في النّقل وتخطّي للكثير مما هو سائد ومألوف في أدب الرّحلات الذي خصّ الرّجال دون النّساء في عالمنا العربيّ إلاّ من استثناءات بعدد أصابع اليد الواحدة جاءت أغلبها على شكل مذكرات أو سير ذاتيّة خالية من روح المغامرة للرّحالة بوصفهم مستكشفين.

تشكّل فكرة الارتحال مادّة أساسيّة للسّرد الرّحليّ من خلال البحث والاكتشاف من خلال دالة أساسيّة، ألا وهي المكان أو الأماكن، وما تحويه من مشاهدات يرويها الرّحالة لغيره بصفته صاحب النّصّ، وهي التي ينهض النّص عليها، وبتنويعات سرديّة تفرضها الأفكار ومقتضياتها ومهارة السّارد.

قلبتْ سناء شعلان معادلة اللاّحبّ، وهزمتْ كرهها لأدب الرّحلة، وأبدعت أروع سلسلة من رحلاتها المختلفة الأغراض والمتنوّعة، وهي تبحث بروح الرّحال العاشق عن عشبة السّعادة ومتعة المعرفة والعدالة لا الخلود.

ويتعذر عليّ الكتابة عن الرّحلات مجتمعة؛ فهي في حاجة إلى جهد جهيد وبحث طويل، ولن نفيها حقّها بعجالة وإيجاز، وتحتاج إلى دراسات بأكثر من مستوى؛ فهي سرديّة وقصص أدبيّة غاية في الرّوعة، وتحمل خصائص عديدة ومتنوّعة من المعارف التّاريخيّة والعلميّة التي تحتاج من القارئ إلى مقدار كبير من التّبصّر والبصيرة النّقديّة للحكم عليها؛ لهذا ساكتفي بالكتابة عن رحلة "أمّ بطبوطة تصلّي في جبال الهيمالايا" تاركاً ما تبقى للمستقبل والآخرين لدراستها وتقيمها، ولكلّ مجتهد نصيب.

رحلة "أمّ بطبوطة تصلّي في جبال الهملايا":

شهد أدب الرّحلة تراجع وضمور لقرون عديدة، وبقي متداولاً على نطاق ضيق عند المهتمّين بالأدب والمؤرّخين والمختصّين في بعض العلوم الطّبيعيّة والطّبيّة والتّاريخ واللّغة، إلاّ أنّه عاد بقوّة في العقود الأخيرة من القرن العشرين، وبدأت الجامعات الإنسانيّة والعلميّة تهتمّ بتحقيق المخطوطات التّراثيّة للرّحالة الأوائل والمستكشفين، وبسبب ضيق المساحة هنا لا نريد الخوض في تعريف وخصائص أدب الرّحلة، فقد أُشبع تعريفاً ودراسة، وعظمتْ حظوظ أدب الرّحلة في دور النّشر والمسابقات الخاصّة بها، إلاّ أنّ كتابة الرّحلة بوصفها سرديّة بقيت تراوح بين المذكرّات السّيريّة، أو نصوص تسجيليّة، أو فرجة سياحيّة، وهذا النّوع من أدب الرّحلات لا يشبع فضول القارئ؛ لأنّه يخفق في نقل تجربة الرّحالة ومغامراته المنبثقة من الواقع الماديّ الذي يعيشه "زمكانيّاً" لاسيما عندما نكون في القارّة الهنديّة التي تتمتّع باختلافها المترع بخصب وتنوّع إنسانيّ لا يجده المرء في أيّ مكان على أرض المعمور والمعلوم من الوجود إلاّ في الهند.

سيكتشف القارئ أنّ سناء شعلان قد تجاوزتْ غرض رحلتها بوصفها أستاذة للأدب الحديث ومهتمّة بالثّقافة وحقوق المرأة والطّفولة، وسعتْ إلى إشباع دوافعها بعيداً عن الرّغبة السّياحيّة، أو الفرجة السّطحيّة، كما دأب بعض الرّحالة المعاصرين على فعل ذلك؛ فهي قد سعتْ بإصرار إلى

ملاحقة أصغر التّفاصيل المكانيّة بما تحويه من نشاطات إنسانيّة وكائنات حيّة، ثم قشّرتْ كلّ ما هو فائض درءاً للإطناب والحشو الزّائد دون إغفال لما تكتنف الهند من تنوّع لا محدود، الأمر الذي يفرض على الرّحالة الشّروط المُتعارف عليها في أدب الرّحلات بحذافيريّة كبيرة بتسجيل مشاهداتها بصدق ودقّة واختيار أسلوب خاصّ، وتشكيل خطابها الرّحليّ المختلف بما يتلاءم مع غرائبيّة القارّة الهنديّة وعجائبيّتها؛ إذ كانت وستبقى محطّ أنظار الرّحالة والانثربولوجيين منذ قرون قد خلتْ.

الانثروبولوجيون المعاصرون "الانثروبولوجيا علم حديث التّشكل" يتقاسمون معايير مشتركة مع الرّحالة المعاصرين في النّظر إلى مفهوم التّثاقف بوصفه مفهوماً خادعاً وراء السّعي لكشف الاختلاف من خلال تسليط الضّوء على "الحتميّات الثقافيّة" للمجتمع الهنديّ ودراسة مضامينها ومستوياتها ليس عن طريق الأفراد المتأثّرين بها في وقت ما، ومن هنا "نجد أنّ مادّة الرّحلة كثيراً ما تحتوي على العناصر الأدبيّة جنباً إلى جنب مع المعلومات الاثنوجرافيّة، وفق ما يذكر الدّكتور حسين محمد فهيم في مقدّمة مؤلّفه الشّهير "أدب الرّحلات".

وإنّ الرّحالة بوصفهم اثنوجرافيين والاثنوجرافيين غدوا مثل رحالّة، ليصبح الطّرفان متجاورين في تقاسم أساسيّات المنظومة المعرفيّة للثّقافة الإنسانيّة أو المجتمعات المختلفة "إنّ الاثنوبولوجيا كلمة معرّبة تعني الدّراسة الوصفيّة لأسلوب الحياة ومجموعة التّقاليد والعادات والقيم، والأدوات والفنون، والمأثورات الشّعبيّة لدى جماعة معينة أو مجتمع معيّن، من خلال فترة زمنيّة محدّدة، وفي مقابل هذا المصطلح نجد مصطلحاً آخر هو الاثنولوجيا الذي يهتم بالدّراسة التّحليليّة والمقارنة للمادّة الاثنوجرافيّة بهدف الوصول إلى تصوّرات نظريّة أو تعميمات بصدد مختلف النّظم الاجتماعيّة والإنسانيّة من ناحية أصولها وتنوّعها، وبهذا تشكّل المادّة الاثنوجرافيّة قاعدة أساسيّة للبحث الأثنولوجيّ؛ فالأثنوجرافيا والأثنولوجيا مرتبطان؛ إذ تكمّل الواحدة الأخرى، وهما تشكّلان مجالين دراسيين مهمّين في إطار مجالات الدّراسات العامّة للأثنبولوجيا" (2)

من الالتفاتات التي تُحسب للرّحالة سناء شعلان أنّها لم تقرأ المتاحف والآثار قراءة تاريخيّة مجرّدة، بل غاصتْ فيها لتكتب عن تفاصيل التّفاصيل كما هو وقوفها عند "تاج محلّ" ذي قصّة الحبّ الشّهيرة، ونقلت القصص بوجدانيّة وشغف؛ لأنّ القارئ بات يعرفها بوصفها أثراً ووجوداً مكانيّاً قائماً وموجوداً ومعروفاً في مشارق الأرض ومغاربها، وفي زمن أصبحت الصّورة بأشكالها جميعاً متاحة، ويمكن الحصول عليها ونحن في السّرير بسرعة فائقة وغير متخيّلة، وصولاً إلى تقنيّة "google earth" وقنوات الفضاء المفتوح.

من هنا تحتاج كتابة الرّحلة التي استفادتْ من التّقنيات الرقمية إلى سرديّة مختلفة "المغامرة السّرديّة" في ميكازينماتها وتقنيّاتها في سرد مراحل رحلتها ومغامراتها مرحلة مرحلة، بأسلوب محكم ورصين ومشوّق؛ لإغراء القارئ واستمالته، وهو من تشغله الصّورة، وتجذبه بقوّة إلى حدّ العزوف عن القراءة؛ فمشاهدة فيلم أو وثائقيّات فلميّة على أقراص مدمجة، أو في الحاسوب، أقلّ تكلفة، وأشدّ توفيراً للوقت من قراءة سرديّة رحليّة، لكن تبقى النّصوص أكثر مؤانسة ومتعة في إعادة التّخييل وصولاً إلى اللّذة المفارقة إلى حدّ الإدهاش.

إنّ مقولة الهند متحف للزّمان والمكان حقيقة لا جدال فيها حتى للمتلقي أو السّامع الذي لم يزر الهند، وقد حاولت شعلان تحقيق ذلك من خلال كتابتها السّرديّة في فصول غاية الرّوعة في التّصوير "الهند متحف البشر والمعمار" و"ألف طبق وطبق"، و"عيد بعد عيد"، و"الأحمر بالأحمر والبادئ أجمل"، ونقلتْ مشاهداتها المبهرة بدقة وبحذاقة.

يبدو أنّ الهند تبهر كلّ زائر ورحّالة، حتى أنّها تبهر من يعيش في أكنافها ردحاً من عمره، وفي ذلك يقول الدّبلوماسيّ المصريّ المعروف "مصطفى الفقي" الذي أصاب كبد الحقيقة، وهو من قضى فيها جزءاً من حياته دبلوماسيّاً "إنّ الهند أمّة عظيمة لا تُؤخذ ببساطة؛ إذ في أعماقها تراكماً ثريّاً، وفي أحشائها الدّر المكنون".

استطاعت شعلان أنْ تغوص عميقاً في المجتمع الهنديّ من أجل التقاط بعض درر تفرده، وما يحيط به من غرائبيّة وحكايات عجيبة إلى حدّ الخرافة والفنتازيا، وقد زارت الهند مرّات عديدة ولأغراض متعدّدة، وعلى

الرّغم من ذلك كانت ضنينة على القرّاء بتدوين رحلاتها بقدراتها اللّغويّة المعروفة بتفرّد صورتها بإحساس ومشاعر غاية الرّوعة والصّنعة بروح محلّقة بثقة العارف لوجهته وغاياته المعرفيّة والإنسانيّة.

غنّت الرّحالة سناء شعلان مثل "غناء القوالي الموسيقى الكلاسيكيّة الصّوفيّة الهندوستانيّة في بناء ألحانها، وارتجالاتها الصّوتيّة المرنة والمتفرّدة التي يصدح المغنّون بها، القوالي له بصمته الخاصّة في تعدّد الإيقاعات، ويتجاوز الكثيرون من روّاد هذا الفنّ قوانينه وأنغامه وأدواته التّقليديّة، ويصبغوه ببصماتهم الشّخصيّة" (3)

وكتبتْ شعلان مدونة رحليّة بصبغة مختلفة عمّن سبقها إلى زيارة الهند والكتابة عن عوالمها وفتنتها التي لا يمكن سبر أغوارها بيسر، وليس بسهولة بمكان أنْ نفهم التّعارضات النّاتجة في الحياة الإنسانيّة للهنود المترعة بالعجائب والغرائب المرتبطة بالثّقافات والعادات المتوارثة عبر أجيال وأجيال منذ زمن سحيق.

لقد رمتنا الرّحالة د. سناء شعلان في "الأشيرون: وهو نهر في جهنّم" بتسليطها الضّوء على قاع المجتمع إلى أعلى هرمه وعاداته وأعرافه التي لا زالت مستحكمة وقائمة على الرّغم من بشاعتها، لاسيما ضدّ الشّرائح المهمّشة والنّساء على وجه الخصوص، وهي عادات بالية ومهترئة لا تؤدّي وظيفة اجتماعيّة، أو وظيفة ثقافيّة، لكنّها تُمارس بحكم العادة المستبدّة والجندرة المفرطة والطّبقيّة، إلى حدّ تجاوز الحدود كلّها التي لا يتخيّلها أيُّ إنسان معاصر.

وكما يقول مارك أوريل "كلّ ما يحصل يحصل بشكل عادل، وهذا ما ستكتشفه لدى مراقبتكَ للأشياء بدقة". إذن كانت شعلان تراقب بدقّة، ونقلت المشهد كاملاً من قاع المجتمع وصولاً إلى قمّة الهرم للنّخب بشكل عادل لكلّ ما يجري، وبشكل محسوس من خلال الصّورة السّرديّة التي تريد أنّ يبصرها القارئ، وبشكل آخر غير محسوس من خلال "التّرقي إلى أعلى مركز للمشاهدة، وذلك لكي نفهم الكمال الذي نحن لسنا سوى جزء تافه منه" (4)

فصوّرت الانسحاق الطّبقيّ والاجتماعيّ والعنصريّ ضدّ النّساء وصولاً إلى الايكلوجيّة البشريّة وأيكلوجيّة المدينة وفوارق التّباعد المكانيّ على أساس تكاليف العيش، وهذا لم يمنع عن كشفها لقوانين التّداعي، وهي قوانين التّضاد والتّشابه والتّلازم في المكان الواحد نفسه.

لقد حيّر المجتمع الهنديّ علماء الاجتماع والانثروبولوجيّ والرّحالة؛ ففي الهند يُولد الإنسان، ويموت دون سكن أو مرحاض لقضاء حاجته، وعلى الرّغم من ذلك يحتفل بالأعياد طيلة العام، ويرقص، ويغني، ويشاهد أفلام السّينما التي تُعدّ من أضخم الإنتاجات السّينمائيّة العالميّة وبلغات مختلفة، ويتعبّد بمئات المعتقدات والأديان والمذاهب والخرافات.

حلقت بنا رحلة "أمّ بطبوطة في جبال الهيمالايا" لنرى ما يمكن أن نراه. والأمر الغريب أنّ الهند تحثّ الخطى نحو التّقدم والعمران دون أن يحدث قطع في عادات شعوبها الغربية والعجيبة إلى حدّ عجز الرّحالة المتقدّمين والمحدثين عن الإحاطة بها، وتدوينها، ولم تشبع فضولنا وتطلّعات الرّحالة.

لقد تميّزت شعلان في كتابتها لهذه الرّحلة التّريّة والمختلفة التي كان مقدّر لها أن تكون رحلة علميّة ثقافيّة، فعرّفتنا بأهمّ الجامعات الإسلاميّة في الهند النّاطقة باللّغة العربيّة وكوكبة من أساتذتها وشعرائها وطلبة العلوم، فنقلت الرّحلة إلى آفاق إبداعيّة ووجدانيّة أرحب، وهذا يحسب من نجاحاتها المتعدّدة دون أن تغفل جغرافيّة المكان البعد الرّئيسيّ للرّحلة، بعد أن قامتْ باستنطاق أدقّ تفاصيله العمرانيّة والجغرافيّة والأثريّة.

وهنا لابدّ من الإشارة إلى أنّ نجاح شعلان في سرديتها الرّحليّة التي بين أيدينا "أمّ بطبوطة تصلّي في جبال الهيمالايا" يعود إلى تنويعاتها القرائيّة والبصريّة الغائرة في المكان، وتوظيف تقنيّة المونتيف منفردة ومتّحدة من أجل تسريع السّرد، مثل هارمونيّ لا يتوقف، ومن أجل أن تجعل القارئ يشاركها بالتّحليق لاكتشاف عوالم الهند الغريبة والعجيبة بكلّ ما تعنيه الغرائبيّة والعجائبيّة من معنى.

ومن هنا تأتي صعوبة الكتابة عن مدونة شعلان الرّحليّة هذه، إضافة إلى أنّها نحت منحىً تجريبيّاً جديداً، مثل سائر أعمالها الإبداعيّة

والسّرديّة الأخرى التي خطّت مسار خاصّ لها، مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ أدب الرّحلة عند سناء شعلان مختلف مثل اختلاف أدب الرّحلة عن سائر السّرديّات المُتعارف عليها؛ لأنّ تمظهراتها الخارجيّة وحدسها النّصيّ المزدوج بين الواقعية والمتخيّل "الوهميّ"، الذي يفرضه الأدب هو مختلف عن أدب الرّحلة الذي يقتضي انتزاع أحداث ووقائع فرضها الواقع، ويلزم الرّحالة بها وفاءً لمصداقية الخبر وفق مسار ووقائع وأحداث محدّدة وصلبة إضافة إلى المجتمعات موطن البشر بمختلف أعراقهم ومعتقداتهم بوصفهم أناس من دم ولحم وعظم؛ فمهمّة الرّحالة مثل مهمّة الأنثربولوجيّ؛ فالرّحالة ينفذ إلى واقع مكانيّ، أو جغرافيّ يسكنه مجتمع معين، ويجب عليه أن يحسن استخدام الإجراءات الاستقصائيّة بدقّة في رصد الملاحظة والتّسجيل والتّصوير والتّدوين معزّزة بتاريخانيّة أكثر حياديّة، واستكشاف الأنساق الثّقافيّة المضمرة للمجتمع الهنديّ.

إنّ التّحدي أو الرّهان الذي كسبته سناء شعلان في مدونتها الرّحليّة "أمّ بطبوطة تصلّي في جبال الهيمالايا" هو إعلانها بنفسها عن هذا المشروع الذي كان يجب أن يرى النّور في وقت مبكّر عن الوقت الذي قرّرتْ فيه أن يخرج إلى العلن، لتُنتج لنا مدوّنات عديدة تتّسم بالعجيب والغريب من خلال رصدها الدقّيق ومعرفتها العلميّة، وهي صاحبة رسالتين جامعيتين رياديتين في دراسة الأدب الغرائبيّ والعجائبيّ والأسطورة خلال مرحلتي الماجستير والدّكتوراه. (5)

لكن "في أدب الرّحلات يتجاوز ما هو مألوف في الأدب، فإذا كانت العناصر العجائبيّة داخل النّصوص السّرديّة تفزع المتلقي، وتثير انفعاله، أو تذكي فضوله؛ لأنّها رؤية مغايرة للأشياء، وتهزّ كيان القارئ؛ فهي في أدب الرّحلات ذات أبعاد تربويّة ومعرفيّة وعرفانيّة خادمة لسمو الإنسان وجماله الخلقيّ والنّفسيّ" (6)

ختاماً وبأمانة المتلقّي والنّاقد الذي يحاول الحياد، لقد فتنتني رحلة "أمّ بطبوطة تصلّي في جبال الهيمالايا" بشعرية اللّغة ورؤيتها المختلفة في الالتقاط الإنسانيّ والعلاقات التي تنشأ على هامش الرّحلة؛ لأنّ الرّحالة ذات

تعبّر، أو تحلّ في مكان وزمان، فلا بدّ أنّ تؤثّر، وتتأثّر بالحياة المحيطة بها بتقبّل للوصول إلى الآخر بغض النّظر عن التّقاطع والاختلاف الدّينيّ والثّقافيّ.

واستطاعت شعلان أن تنتزع قدراً كبيراً من المشاهدات غير المألوفة التي يصعب على المرأة الرّحالة الوصول إليها، أو مجرّد التفكير في خوض مغامرتها التي تنطوي على مخاطر وعواقب مكيدة ومختبئة في أماكن الهامش وتخوم المناطق الفقيرة.

وحصول شعلان على مرادها وتحقيق أكبر قدر من الموفقيّة لسعيها ذاك كان لأنّ أدلائها كانوا من الهنود المثقّفين من أساتذة وطلاّب الجامعات وباحثين ومفكّرين مسلمين، وهم يتحدّثون اللّغة العربيّة بطلاقة، فسبرتْ وجدان الهنود الذين مرّت بهم، وانتزعتْ قدراً كبيراً من الرّموز والأساطير والخرافات الرّاسخة في وجدان المجتمع الهنديّ ذي الطّقوس التي تصل إلى حدّ اللامعقول، بمثل تعدّد دياناته واثنياته إلى حدّ لا يمكن حصر معطياته؛ لأنّها تحتاج إلى سنوات وهي تبهر وتروع في آن معاً، ومع ذلك نجد هناك عوالم الزّهد والتّصوف وعمل الخير على الرّغم من كلّ شيء.

لقد أثّرت شعلان بنا؛ لأنّها كتبت بروح محبّة، وحفظتْ بقلبها أشعار المتصوّفة، وما اختيارها وتضميناتها للنّقول والعطوف من شعراء الهند العظماء والمتفرّدين بتصوّفهم وبتجاربهم الذّاتيّة في عوالم غير مألوفة، إلاّ إضافة جماليّة ومعرفيّة تفتن العقول، وتجد طريقها إلى النّفوس بيسر وسهولة.

"إنْ تكلّمتْ روحُ العاشق
أضرمتْ النّار في هذا العالم
فجعلتْ هذا العالم مجتثّ الأصل
هباء أو كالعدم
تنشقّ عند ذاك السّماء
فلا يبقى كون ولا مكان" (7)

❖❖❖

" كنتُ في البداية
وسأكون في النّهاية

لا أعرفُ أحداً سوى الواحد
أنا لا أعرف من أنا" (8)

الإحالات :

1- ملحمة كلكامش: د. طه باقر، دار الحرّيّة للطّباعة والنّشر، بغداد 1978، ص35

2 - أدب الرّحلات: د. حسين محمد فهيم، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1978، ص43 - 44

3 - أمّ بطبوطة تصلّي في جبال الهيمالايا: د. سناء شعلان، من عنوان فرعيّ: صوت القلب.

4- تعلّم الحياة: لوك فيري، ترجمة سعيد الولي، نسخة إلكترونيّة، ص57

5- السّرد الغرائبيّ والعجائبيّ في الرّواية والقصّة القصيرة في الأردن من 1970- 2002 : سناء شعلان، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنيّة، الأردن؛ والأسطورة في روايات نجيب محفوظ : سناء شعلان، أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنيّة، الأردن: الكتابان من إصدارات نادي الجسرة الثّقافيّ الاجتماعيّ، الدّوحة، قطر، 2006

6 - الكتابة والتّلقّي: الرّحلة وفتنة العجيب بين الكتابة والتّلقّي: د. خالد التوزاني، دار السّويديّ للنّشر، الإمارات العربيّة المتّحدة، 2017، ط1، ص172

7 - شعر لمولانا جلال الدّين الرّوميّ، من أمّ بطبوطة تصلّي في جبال الهيمالايا: سناء شعلان، من عنوان فرعي: أحرم قلبي وحجّت نبضاتي.

8- شعر للشّاعر الهنديّ الصّوفيّ الكبير بوليه شاه، من أمّ بطبوطة تصلّي في جبال الهيمالايا: سناء شعلان، من عنوان فرعي: مدينة السّعادة.

أمّي نعيمة المشايخ تقرّر أن تكون رفيقتي في رحلتي إلى الهند وكشمير

بقلم د. سناء الشعلان/ الأردن

أحلام الأريكة:

الأريكة هي المكان الأهمّ في أخذ قراراتي في هذا العالم، وهي المكان الذي أنطلق منه في رحلاتي كلّها؛ فلا رحلة في حياتي لم تبدأ من تأمّلاتي وقراراتي في الأريكة، ورحلتي إلى الهند وكشمير بدأت وأنا أتمغّط في ضجعتي، وأحضر آخر مشهد من ذلك الفيلم التّاريخيّ الرّومانسيّ الجميل، عندها كنتُ قد أُشبعت تماماً بتاريخ طويل من الثّمالة بقصص الحبّ الهنديّة، وأحداثها الملحميّة الشّهيرة، فقرّرتُ أن أتوارى خلف رحلاتي العلميّة والأدبيّة والاستكشافيّة لأدخل في أرض الأحلام الهنديّة، وجاءت رسالة الكترونيّة لي من الباحث الهنديّ الجادّ أسعد جمال لأشرع في رحلتي الطّويلة إلى الهند التي تكرّرت لأكثر من مرّة على مدى عامين.

وبدأت إجراءات الرّحيل مع والدتي أمّ بطبوطة التي صمّمتُ على أن ترافقني في رحلتي هذه على الرّغم من ألم قدميها الذي بدأ يغزوهما بشراسة منذ أشهر قريبة، ولكنّها نزلتْ عند رغبتي بأن تكون رفيقتي في الرّحلة؛ لأنّها كانت تطمح – مثلي- إلى أن تدخل إلى أرض الأحلام الهنديّة، وهي من أشدّ المعجبين بالدّراما الهنديّة المدبلجة، ووثيقة العلاقة العاطفيّة بنجومها الذين تتابعهم بمحبّة واهتمام، أمّا أنا فقرّرتُ أن أخوض هذه الرّحلة متسلّحة بجيش من العشّاق والعاشقات الهنود الذين يشغلون مقداراً كبيراً وأثيراً في ذاكرتي ووجداني.

وقـرّرتُ أن تكـون رحلـتي إلى "نيـودلهي" تلـك المدينـة الـتي تعـجّ بالرّاقصين والرّاقصات والأعياد والاحتفالات والأغاني والموسيقى والعشّاق والاحتفالات والألوان البهيّة والرّوائح الزّكية والعطور والتّوابل والزّهور والفنون والرّجال الأقوياء والنّساء الجميلات والملابس القشيبة البرّاقة والمناظر الجميلة والحيوانات المحبّبة والقصص السّعيدة والمفاجآت السّارّة، تماماً كما ترسمها لنا السّينما البوليوديّة، وتجاهلتُ معلوماتي عن الوجه الحقيقيّ للهند وأحزانها، وأخفيتُ هذا الوجه الكئيب عن أمّي كي لا تتراجع عن رغبتها في رفقتي في الرّحلة، إلى حين تكتشف الحقيقة بنفسها.

ولم نكد ندخل مدينة "نيودلهي" حتى كشفت لنا عن وجهها اللّئيم المقيت؛ فكانت أوّل مرّة في حياتنا نرى المتشرّدين والفقراء يسكنون في عرائش كئيبة من الخرق الممزّقة في كلّ شبر ممكن، حتى أنّهم يقيمون في أرض كلّ جزيرة وسطيّة بين الشّوارع الرّئيسيّة، وينامون على الأرصفة، وهم شبه عرايا إلاّ من حقير الملابس، حُفاة الأقدام، تحرقهم الشّمس المذيبة، ويسحقهم الفقر والذّل والقهر والتّهميش، وتدركهم في كلّ مكان يستجدون المارّة أحياناً، ولا يبارحون أماكنهم مرّات أُخر.

أما صغارهم فكانوا عرايا تماماً، يتعثّرون بفقرهم وحرمانهم، ولا يعرفون من رحمة الدّنيا طعماً أو لوناً.

من يردْ أن تظلّ صورة السّينما البوليوديّة حبيسة عينيه، عليها أن يغلقهما كي لا تريا الحقيقة، أمّا من يفتحهما، فسوف يرى الحقيقة كاملة، وبكلّ بساطة ووضوح، سيرى صورة منها في مدينة "نيودلهي"، وتتكرّر الصّورة ذاتها في كلّ مكان في الهند، وتشتدّ قتامة وقسوة في الأماكن النّائية والأكثر فقراً، حتى تصل إلى أن يجد المترحّل جزراً وأماكن نائية في الهند، لا زال أهلها من الهنود يعيشون في عصور موغلة في

البدائيّة، فلا لغة ولا حضارة عندهم، يعيشون عرايا، ويقتاتون على ما تقتات عليه البهائم والدّواب، ويجهلون وجود مدنيّة في العالم قد سارت قدماً دون أن تصل إليهم، أو تعبر في أزمانهم وأماكن سكناهم، مثل جزيرة "سينتيل"، وهي إحدى جزر أندمان الهنديّة الواقعة على خليج البنغال، التي تعيش مغرقة في البدائيّة، ويرفض أهلها التّواصل مع العالم الخارجيّ، ويعيشون عرايا، ويأكلون الأطعمة البحريّة التي تجود بها المياه التي تحيط بالجزيرة.

"نيودلهي" مدينة ذات وجهين، وجه جميل أنيق بهيّ عريق حيث الأماكن التّاريخيّة والأماكن الدّبلوماسيّة ومقرّات المؤسسّات الحكوميّة والخاصّة والبنوك والفنادق الكبيرة العالميّة والمتاحف وكبار الجامعات ومقرّات المنظّمات ودارات الأثرياء ورياض المرفّهين، وهذا الوجه هو وجه صغير منحسر خجول، أمّا الوجه المتغوّل العريض الذي يعرفه معظم سكّان المدينة، فهو الوجه الآخر القاتم حيث الفقر والجوع والاكتظاظ والتّلوّث الشّديد، والعودام التي تخنق الجوّ بغازاتها، والمتشرّدون والفقراء يتيهون في المدينة، والفوضى المروريّة تدبّ في كلّ مكان بسبب الازدحام وسوء البنية التّحتيّة للشّوارع وتدفّق عربة "ركشا" في الدّروب كلّها، وهي بمثابة السّيرة الأجرة "التّاكسي" الرّسميّ في الهند، إلى جانب العربات اليدويّة والدّرّجات الهوائيّة والكهربائيّة، وعادة البصاق مستشرية في كلّ مكان، والحيوانات السّائمة تجوب في الدّروب، لا سيما الأبقار والكلاب والقطط وبعض الزّواحف، والحواري ضيقة، والشّوارع غير معبّدة أو حتى ممهّدة، وتعجّ بالحجارة والحفر وبراز الدّواب والبشر، والبيوت الآيلة للسّقوط ترسم صورة كئيبة للمكان، إلى جانب قلّة المرافق والخدمات مقارنة مع عدد السّكان، وأسلاك الكهرباء المعرّاة تتدلّى من الأسقف والجدران.

أنا وأمّي نعيمة المشايخ في كشمير

بقلم د. سناء الشعلان/ الأردن

بطبوطة وأمّها:

عندما وصلتْ أمّ بطبوطة إلى قمّة جبل "غلمرغ" في جبال الهيمالايا آمنتُ بأنّها جبال مقدسّة مباركة، ليس عند الهندوس والبوذيين حسب، بل وعندي أيضاً؛ لأنّ قدمي أميّ، أمّ بطبوطة قد وطأتها بعد طول تردّد منها ومنّي للقيام بهذه الزّيارة السّحريّة الجميلة في أرض اللّه الجميلة المعلّقة فوق الجبال حيث أرض الفردوس المفقود.

عندما نظرتْ أمّي في ذلك الفضاء الثّلجيّ البارد الذي يتمدّد على أعالي الجبال في كشمير الهنديّة، وطارتْ نظراتها نحو أسفل الشّواهق التي تسلّقنا في رحلة الصّعود إلى إحدى قمم جبال الهيمالايا، بلعتْ ريقها بصعوبة والبرودة تلفح قسماتها، وصدحتْ بـ "اللّه أكبر" مجلجلة الصّوت دهشة منها ممّا رأت حولها من عجائب الثّلج والبرودة والجمال والارتفاع الباذخ، ثم بدأت تصلّي صلاة الظّهر حاضرة على الثّلج بخشوع حارّ شعرتُ أنّه يذيب صقيع الثّلج حيث يسجد جسدها الحنون الطّيب المترع بحرارة الإيمان والأمومة.

عندما كانت أمّي تصلّي فوق الثّلج، كنتُ أراقب جسدها الطّيب المنهك بأمومة عريضة عمرها أربعين عاماً لاثني عشرة ابناً وابنة تفانتْ في تربيتهم ورعايتهم والعطف عليهم، وتذكّرتُ تلك الشّتاءات القديمة عندما كانت تدسّ أيدينا الباردة الصّغيرة في صدرها كي تدفئنا بجسدها بعد أن نعود إلى البيت متجمدي الأكفّ من اللّعب في الثّلج، ثم تضمّنا اثنين اثنين أو ثلاثة ثلاثة إلى جسدها؛ كي تفيض على أجسادنا بدفء أمومتها الغامرة.

هذا الثّلج البارد المترامي في كلّ مكان حتى الأفق يحتاج ألف عام من حنان أمّي كي تذيبه كلّه. ولكن ما حاجتي لأن تذيبه أمّي ونحن من جئنا من البعيد، وتجشّمنا الصّعاب والمشاق والتّعب كي نراه، ونطأ بياضه

الصّارخ، ونهتف بانتصار وغرور: نحن هنا. وبذلك أكون وأمّي أوّل امرأتين من أسرتنا تصلان إلى هذا المكان الأسطوريّ القداسة والقدم، على الرّغم من عدم رضا أمّي على ترحالي المستمرّ الذي أصابني مسّ ولعه من سنين، وما تركني من لحظتها أهنأ باستقرار، أو أرضى بركون لمكان واحد، وطوّف بي في بلاد الأرض، وعرّفني بالعباد، وعلّقني مرّة تلو الأخرى بين السّماء والأرض.

أخذتُ نفساً عميقاً، ثم صرختُ بعمق صوتي: أنا هنا. فردّدت الجبال والوديان صوتي، ثم عمّ الصّمت الملغز من جديد، وظللتُ أنتظر أمّي أن تنتهي من صلاتها التي لا تفوّتها أبداً مهما كانت الأسباب لأجل أن نكمل رحلتنا في قمّة الجبل الممتّدة في مساحة كبيرة.

أسميتُ أمّي في رحلتي هذه بأمّ بطبوطة مداعبة لها؛ وهي من كانتْ تطلق عليّ لقب ابنة بطبوطة التي تسافر دون توقّف، وتخلف وعدها لأمّها بعدم السّفر مرّة تلو الأخر لتعلّق روحها بالترّحال والسّفر والتّطواف والتّجوال في بلاد اللّه من منطلق المقولة الشّهيرة "من أحبّه اللّه أراه بدائع كونه وجمال مخلوقاته"، واللّه العظيم في علاه يحبّني وأمّي دون شكّ؛ لأنّه منّ علينا بالتّرحال في أرضه، ويسّر لنا ذلك على ما فيه من طبائع المشقّة، وصعوبة المغامرة، وخطورة المجازفة، وأفاض عليّ بفرح رفقة أمّي لي في الكثير من رحلاتي، وهذا أمر قلّما يتيسّر لرحّالة أو طالب علم مثلي، لا يفتأ يبحث عن ضالته الحكمة في كلّ مكان، وأنّى وجدها أخذها دون تردّد.

لطالما قلتُ لأمّي ضاحكة محتجّة: أنا ابنة بطبوطة لا بطّوطة، فاسم الرّحالة الشّهير هو ابن بطّوطة، ومن الطّبيعيّ أن تكون ابنته تحمل اسم ابنة بطّوطة لا بطبوطة، فتضحك، وتغمزني قائلة: حقّاً أنتِ بطبوطة، بطبوطتي أنا، بطتي الصّغيرة الجميلة التي تحبّ أن تبتعد عن أمّها البطّة الكبيرة، وتجوب في الأرض بحثاً عمّا لا أعرف ما يكون، وتتركني حزينة قلقة في انتظار عودتها.

لكنّني في رحلات هذه إلى كشمير والهند، صممتُ على أن ترافقني أمّي فيها، فنزلتْ عند إلحاحي هذا رغبة منها في أن تكون إلى

جانبي في ترحالي، وهي من يسكنها الجزع كلّما تركتُ ديارها وبيتها وأسرتها، وسافرتُ نحو البعيد عنها.

لقد شجّعتها على هذه الرّفقة على الرّغم من آلام القدمين والظّهر التي تبرّحها منذ سنوات رغبة منّي في أن أتبرّك برفقتها لي، وأسميتها أمّ بطبوطة استفزازاً لكوامن أسرار أمومتها ورغبتها في الاكتشاف، وشجّعتها على رفقتها لي في التّرحال بوصفها أوّل أمّ ترافق رحّالة في ترحالها، لتنقش بذلك اسم نساء عائلتها في تاريخ الرّحالة والمستكشفين وأهل التّجوال، إلاّ أنّ أمّي كانت تهزّ رأسها ساخرة ممّا أقول، وغير مبالية بأهميّته، ومؤكّدة أنّه لا يعنيها من رؤية ديار اللّه وخلقه سوى أن تكون معي لتدعمني وتحميني، وهي من تعتقد أنّها تستطيع أن تحميني من شرور البشر ومفاجآت الطّريق إن كانتْ في رفقتي، فابتسم لاعتقادات أميّ المتفائلة أكثر ممّا يجب، وأصمتُ، وأهمس في أعماقي: اللّه خير حافظ.

إلاّ أنّني كنتُ أعلم أنّ ترحالي ببعديه العلميّ والأدبيّ بالدّرجة الأولى هو ما يروق لأمّي؛ وهي من ترى فيه عبادة موصولة في سبيل تحصيل العلم والمعرفة مهما نأت المسافات؛ ولذلك يؤجر من يقوم به، وقد يزيد هذا الأجر إن كان في ميزان أعمال امرأة مثلي تبحث عن الدّهشة حتى في العلم والعلماء، وترى عظمة اللّه في خلقه وكونه، وهي مفتونة بتتبّع مناحي هذه العظمة.

ظننتُ أنّ أمّي سوف تشرع تسأل بفضول عن هذا المكان في قمّة الجبل، إلاّ أنّها نظرت إليّ بغضب وسخط وخوف، وقالتْ بانفعال وجل: اللّه يلعن أبوكِ. لماذا جئتِ بنا إلى هذا المكان البعيد البارد المخيف. كيف سننزل منه؟ ومن سوف سيدفننا إنْ متنا فيه؟

فانفجرتُ بالضّحك، وأنا أسمع سباب أمّي لي، وضحكت معي مرافقتي الكشميريّة الجميلة د. عرفاني رحيم التي تجيد اللّغة العربيّة، وتجيد الضّحك من أعماق روحها الشّفافة، ويرتفع صوتها بقهقهة نقيّة تجوب أعماق الوادي، وضحك معنا السّائق الكشميريّ الشّاب محمد شاهد دون أن يفهم كلمة ممّا يجري على ألسنتنا من كلمات باللّغة العربية، وهو من لا

يجيد سوى لغته الأم، وبعض فتات الإنجليزيّة، ولكنّه يجيد المرح والفرح وحسن المرافقة وجمال الصّحبة.

ولم يهدأ روع أمّي إلاّ عندما أخبرتها أنّ أكثر من 90 بالمئة من سكّان كشمير هم من المسلمين، وأنّنا لن نعدم فيهم من يدفنونا بالطّريقة الإسلاميّة، بعد أن يُصلّوا علينا صلاة الجنازة.

ولم أخبر أمّي أنّ هذه القمّة- التي تقف عليها في الهيمالايا قلقة على أمر دفننا وفق أحكام الشّريعة الإسلاميّة إن متنا فوقها- تطلّ على قمم أخرى من جبال "التّبت"، حيث تُقدّم جثث الأموات عارية ومقطّعة لنسور الجبال الكاسرة المتوحّشة كي تأكلها بناء على رغبة الموتى وأهليهم؛ إذ هذا الطّقس الجنائزيّ اسمه "الدّفن السّماويّ"، وهو دفن مقدّس عند البوذيين في "التّبت" الصّينيّة، فهم يؤمنون بأنّ تقديم أجساد الموتى للنّسور لتأكلها سيجعل الجسد مفيداً لغيره من الكائنات، ويقرّبه من السّماء حيث ذهبت روحه وهو في جوف النّسور التي أكلته، وبهذه الطّريقة تحلّق أرواح الموتى إلى السّماء نحو الإله عبر وجودها في أجواف النّسور التي التهمت أجسادها المقدّمة لها.

ويقوم الحانوتي بتقطيع جسد الميّت بطريقة وحشيّة، ثم يرميه للنّسور الكواسر، ويتقاضى عن ذلك أجراً كبيراً يكفيه لعدّة أشهر، وتظل عظام الميّت وجمجمته مرميّة بإهمال على قمم الجبال، وهذا النّوع من الدّفن السّماويّ مكلف ماديّاً، ولذلك لا يستطيع القيام به سوى الأغنياء، أو من يدّخرون نقودهم بإصرار لأجل أن يدفنوا بهذا الشّكل الذي يختصر بأن يعرّوا من ملابسهم، وتكشف عوراتهم، وتقطّع أجسادهم، وتقدّم للنّسور والحيوانات الضّواري.

وقد واجه هذا الدّفن موجات من الاعتراض عليه في الصّين، ممّا أدّى إلى تحريمه وتجريمه، ثم عادت الحكومة وعدلت عن رأيها بضغوط من الجماعات البوذيّة التي رأت أنّ حريّة العبادة تحتّم على الدّولة الصّينيّة أن تقبل بمثل هذا النّوع من الدّفن.

سعدتُ لأنّ أمّي لا تعرف عن وجود هذا النّوع من الدّفن الوحشيّ بالقرب منها، وأكّدتُ لها أنّها ستحظى بدفن إسلاميّ إن ماتت على هذا الجبل أو في دروب مغادرته، أمّا أمر النّزول إلى مدينة "سريناغار" من حيث جئنا سيكون أسهل، وأقلّ خطراً من الصّعود الذي يزداد خطراً بقيادة محمد شاهد الذي يقود السّيارة التي تقلّ أربعتنا بتهوّر عجيب، هازئاً من وعورة الجبال، وانزلاقات الدّروب المثلّجة، وضيق المنعطفات، وكثافة الأشجار الملتفّة كيفما اتّفق، وصوت الأغاني الكشميريّة الحزينة يصدح من مسجّل سيارته، وأمّي تتشاهد بتسليم كامل للمصير كلما انحرفت السّيارة تجاه منزلق في منحرف ما، وأنا والدكتورة عرفاني الجميلة نضحك من أمّ بطبوطة التي خلعتْ شجاعتها في سهل المدينة، ولبستْ رداء الخوف، وهي معلّقة في هذه الجبال النّائية المنحدرة التي لو شهدتْ حادثاً ما وجدنا منقذاً أو مغثياً فيها.

جبال الهيمالايا هي عوالم ثلجيّة وصخريّة تتقاسمها الحدود بين الهند وباكستان والصّين، وهي تفصل صحارى الهند الرّمليّة عن المناطق الجافّة الدّاخليّة، وبالقرب منها تظهر الصّحارى الجافّة والأراضي العشبية الممتدّة عبر الأراضي الصّينيّة ومنغوليا، وهي بيئة قاسية بكلّ ما في كلمة قاسية من معنى.

والسّير فيها وتسلّقها فيه ما فيه من المباهج والمخاطر والتّحدّيات والصّعوبات والمفاجآت، وأنا أقنعتُ نفسي بأنّني خبرته في رحلتي إليّه، وأنا من لم تقضِ فيه إلاّ يوماً واحداً من حياتها، وتسلّقت إحدى قممه بسيارة حديثة، ثم أكملت تسلّقه بوساطة قدمي في مكان غير خطر ومألوف، وتعجّ فيه الأكواخ الخشبيّة التي تتنوّع بين فنادق صغيرة أو مقاهٍ أو مطاعم أو أماكن لتقديم الخدمات، وتأجير أدوات التّزلّج والتّسلّق والألبسة والأحذية المناسبة للثّلج، في حين أتدثّر أنا بمعطفي الشّتويّ الرّقيق الذي لا يستطيع أن يصدّ عني البرودة بشكل كافٍ، وأراقب المكان من تحت قبعة معطفي مثل صغير أرنب يتوارى من البرد.

أمّي نعيمة المشايخ
في مواجهة الطّعام الهنديّ الحارّ

بقلم د. سناء الشعلان/ الأردن

طعام دون بهارات:

كم شعر موظفو النّزل السّياحيّ بالعجب والاستغراب عندما طلبتُ ووالدتي أن يطبخوا لنا الدّجاج والأرز بالملح والزّيت فقط دون إضافة أيّ بهارات أو توابل أو منكهات عليه؛ لأنّ أمعاءنا ما تستطيع أن تحتمل حرقة الطّعام الكشميريّ أو الهنديّ، فنزلوا عند رغبتنا بكلّ أدب بعد أن سمحوا لي بأن أدخل معهم إلى مطبخ النّزل لأشرف على هذا الطّهو الذي لفت نظر الجميع، ووقفوا مشدوهين ليشاهدوني وأمّي أمّ بطبوطة نأكل الطّعام مسلوقاً دون توابل، وهم من يعشقونها، ويدسّونها في طعامهم بكميّات كبيرة.

لقد عجبوا كيف زهدتُ وأميّ بمتعة الطّعام الحارّ المتبّل، ولم يعرفوا أنّني زهدتُ بمتعة طعامهم الحارّ الذي أميل إليه، كما زهدتُ بمتع أخرى مقصودة في بلادهم، مثل متع الصّيد والسّباحة والتّزلّج على الماء؛ لأنّها متع جسديّة تعجز أميّ عن مشاركتي بها، وأنا لا يمكن أن أذوق متعة دون أمّي، فأحرّمها على نفسي، وألتفتُ إلى ما يمكن أن أشرك أمّي به من متع، دون أن تعرف أنّني أتوق لأكل الطّعام الكمشيريّ الحارّ، ولكنّني أزهد به إكراما لذوقها في الزّهد به.

طوال إقامتي في كشمير حمدتُ اللّه العليّ العظيم؛ لأنّني لستُ من هواة لحم البقر، وأمّي تمقته؛ لأنّ وشائجه عصيّة على الهضم في معدتها الشّفيفة الحسّاسة، وزاد نفورنا من هذا اللّحم عندما علمنا أنّ من الشّائع في الإقليم أن يتعرّض المسلمون لا سيما مربّو الأبقار لاعتداءات وحشيّة من المواطنين الهندوس الذين تحرّم ديانتهم نحر الأبقار وأكل لحومها، في حين ينفّذ المسلمون تعاليم دينهم بنحر الأبقار أضحيات في عيدهم؛ لاسيما أنّ لحم البقر هو الأرخص في الهند وكشمير مقارنة مع لحم الضّأن والماعز ولحم الأسماك والدّجاج وبعض الطّيور الأخرى.

إنّ وجبة من لحم الأبقار في كشمير قد تكلّف المرء حياته، وأنا شخصيّاً أزهد في هذه الوجبة التي قد تحصد رأسي ثمنا لها.

الحقيقة أنّني أفضّل لحم الضّأن الذي ينحاز إليه المطبخ الكشميريّ الذي يعرف أكثر من ثلاثين نوعا منه، وهو مطبخ غني بالأطعمة التي وردت إليه من "أوزبكستان" مع غزو تيمور للإقليم، ثم تأثّر بعد ذلك بمأكولات آسيا الوسطى وبلاد فارس وأفغانستان.

أمّي نعيمة المشايخ في تاج محلّ

بقلم د. سناء الشعلان/ الأردن

وقفتْ أمّي أمّ بطبوطة (نعيمة المشايخ) أمام القبر المرمريّ المهيب، بعد أن أصخت باهتمامٍ لقصّة الامبراطورِ المغوليّ العاشق "شاه جاهان" الذي بنى "تاج محلّ" كاملاً ضريحاً أسطوريّاً لزوجته الثّالثة "أرجمند بانو بيجم" الملقّبة بـ "ممتاز محلّ" التي كانت الأقرب إلى نفسه من زوجاته ومحظياته كلّهنّ، وتوفّيت أثناء ولادتها لطفلهما الرّابع عشر.

تأمّلت القبر بما فيه من عظمة لا تناسب حطام الموت، ولكنّها تنسجم مع أهوال العشق، ومدامع العشق والصّبابة والافتتان عند أهل العروش.

تنهّدت أم بطبوطة بحسرة، ثم انثنتْ إلى جانب الحاجز المرمريّ الأبيض المزخرف، ودارتْ بيسر دمعة برقتْ حرقتها في عيني، فاقتربتُ منها مشدوهة لأعرف سرّ حزنها المفاجئ، وهي مَنْ كانت تزور المكان بفرح وغبطة، وتتبادل الملاحظات والأسئلة والأحاديث المشوّقة الودودة مع مرافقنا الباحث الهنديّ الشّاب داوود فيصل، إلاّ أنّ حزناً ما قد داهم روحها؛ فاختفت ابتسامتها على حين غرّة، بعد أن دخلنا غرفة دفن الامبراطور وزوجته في "تاج محلّ".

اغتمّ داوود عندما رأى أمّي تبكي، واقترب منها ليعرف سرّ حزنها، واقتربتُ من أمّي أكثر لأكون أوّل من يمسح دمعتها، ويعرف سرّ كدرها المفاجئ، وعندما أصبحت أنفاسها السّخينة في محاذاة خدّي، سألتها بحنو وقلق: ما الذي أبكاكِ وأزعجك يا أمّي؟

نظرت أمّي إليّ مهمومة، ولوت رقبتها باتّجاهي كي لا يسمع داوود كلامها، ثم أجابتني بحرقة: انظر ماذا يفعل الرّجال لزوجاتهم؟ هل سيبني أبوكِ لي ضريحاً عظيماً كهذا إنْ متُ قبله؟ طبعاً لن يفعل ذلك؛ فهو حتى لم يبنِ لي أيّ قصر في حياته. فكيف يفعل هذا بعد مماتي؟

حملقتُ مشدوهة في وجه أمّي، وتعاطفتُ مع غيرتها النّسائيّة التي حدّثت نفسي بأن أشعر بها كذلك، ثم انفجرتُ بالضّحك بما لا يليق بالوجود في حرمة حجرة فيها قبران، حملق الزّائرون جميعاً في وجهي مستنكرين مستائين من سلوكي، ثم تجاهلوا ضحكاتي، حتى خفتتْ إلى أن توقّفت، وأخذتُ أمّي تضحك هي الأخرى بعدما توقّف ضحكي، فمددتُ يدي إلى كتفها، وهي الأقصر قامة منّي، والأطول باعاً وبركة وخيراً وتقوى، وشدّدتها إلى جسدي، وقبّلتها على جبينها، ومسحت دموعها، ثم همستُ في أذنها: من الصّعب أن تجدي رجلاً عاشقاً مجنوناً مثل الامبراطور "شاه جاهان"، لكن يجب أن تلحّي على أبي ليبني لكِ ضريحاً مشابهاً لضريح "تاج محلّ".

فانفجرتْ أمّي بالضّحك من جديد، ونسيتْ حزنها من أبي زوجها الذي لم يبنِ لها قصراً أو ضريحاً يليق بتضحياتها من أجله ومن أجل أبنائهما وبناتهما وأسرتهما اللّتين بنياها على امتداد أربعين عاماً ونيف، وتبعني داوود بخطوتين وما درى ما أبكي أمّي، وما أضحكها، ولكنّه اكتفي بالصّمت العميق المؤدّب، وهو من كان يجيد فنون الأدب والتّعامل مع النّاس لاسيما الأكبر منه سنّاً، ولذلك حظي بمحبّة أمّي، وباتت تأنس به، وكأنّه واحد من أبنائها، وتتحدّث معه دون توقّف؛ إذ إنّه يتقن اللّغة العربيّة، وهو من كان يعدّ أطروحة الدكتوراه في جامعة "جواهر لآل نهرو".

من جديد عدنا ننتظم كيفما اتّفق في درب أفواج الزّائرين للمكان، وهم عندئذ عدد عملاق من البشر من مختلف الأجناس والأعمار والألوان والهيئات والدّيانات والأفكار، ولا يجمعهم في تلك اللّحظة سوى الاحتراق من شدّة الحرارة، والانبهار بجمال الضّريح، والأخفاف الزّرقاء القطنيّة الشّفيفة التي يلبسها الجميع فرضاً من إدارة الضّريح؛ كي لا يجرحوا بأحذيتهم العاديّة سطح الأرض المصنوع من المرمر، وكأنّه قطعة من قصور الجان في ألف ليلة وليلة التي تخمر الكون ببريق رخامها الأبيض النّقي المشعّ.

ولا أحد يستطيع الدّخول إلى المكان إلاّ سيراً على الأقدام؛ ولا يُسمح له بأن يُدخل معه سوى ماء في زجاجة شفّافة، وكاميرات فيديو صغيرة، وهواتف نقّالة، ومحافظ نسائيّة صغيرة، وفي السّاحات الخارجيّة للمبنى لا يُسمح بمرور السّيارات حفاظاً على البيئة.

تجوّلنا في بعض حدائق الضّريح؛ إذ يصعب حدائقه ومبانيه كاملة في يوم واحد وفي زيارة واحدة؛ لأنّها تمتد على نحو 17 هكتار، اقتربتُ من

أمّي، وقرأتُ لها من ورقة تعريفيّة عن المكان بأنّ البناء في هذا المكان الذي هو في حقيقته ليس ضريحاً فقط؛ بل هناك مسجد ومبنى ضيافة، وقد استغرق بناؤه 22 عاماً من العمل الموصول، وأنّ الامبراطور المغوليّ العاشق كان ينوي أن يبني ضريحاً آخر تقديري لزوجته المتوّفاة على الجهة الأخرى من النّهر على أن يكون من الرّخام الأسود، ولكنّ حربه مع أبنائه، وخلعهم له عن عرشه قد قتل هذا المشروع العاشق إلى الأبد، في حين ظلّ مشروعه الأوّل الذي أصبح حقيقة رومانسيّة إسلاميّة معماريّة خالدة هو جوهرة مدينة "آغرا" الهنديّة، ليظلّ يروي للدّنيا قصّة العشق التي تأبى أن تموت بموت بطليها.

عندما سمعت أمي هذه المعلومة لمحت الهمّ والغيرة تداهمها من جديد، ولكنّني ابتسمت لها، وداعبتها قائلة: هل رأيت الرّجال العاشقين ماذا يفعلون؟ فأدركتْ أمّي أنّني أمازحها كي لا تغتمّ من جديد من عطايا الأزواج العاشقين الأثرياء الذين لا يمكن لأبي المسكين أن يجاريهم في هداياهم المستحيلة، أو في عطاياهم الباذخة، ولا يملك ما يملكون من رومانسيّة فطريّة قادتهم إلى الخلود في أسفار الحبّ والهائمين في دروبه، كما لا يملك ما يملكون من مال وجوهر كي يبني لها القصور والمراقد من المرمر والذّهب والماس والجوهر.

ومن جديد عدتُ أقرأ لها بعض المعلومات الطّريفة عن هذا البناء المذهل من الكتاب التّعريفيّ الذي أحمله، وأنا ألوّح لها باتّجاه تفاصيله على الحقيقة بعد أن أقرأها من الورق صاحب البوح الموصول، وداوود يثني على ما قلت، ويضيف إليه، ويشرح ملغزه علينا، لاسيما أنّه خبير في الأماكن السّياحيّة والجوّلات فيها، وهو من أخبرنا أنّه يعمل مرشداً سياحيّاً في أوقات فراغه كي يساعد نفسه ودراسته وأسرته فيما يحصل عليه من مال من هذه المهنة التي تناسب طبيعته الحاذقة المرنة الودودة.

وأكثر ما أثار عجب أمّي أنّها عرفت أنّ أكثر من 1000 فيل قد شاركوا في نقل الأدوات والمواد إلى المكان من أجل البناء، وأنّ 22 ألف عامل من الهند وتركستان وسوريا وفارس وبغداد من بنّائين ومعماريين ورسّامين ومطرّزين وقاطعي حجارة قد شاركوا في البناء لمدة 22 عاماً ليصنعوا معاً هذه التّحفة المعمارية التي تقع في وسط أربعة مآذن رفيعة متساوية الطّول، وتعلوها القباب والقناطير المنحنية بتطابق كامل من الجهات الأربعة، وتلفّها الحدائق والكثير من المباني التي تقع داخل

أسوارها، بما فيها المسجد وبيوت الضّيافة، والضّريح كلّه محاط بأسوار مانعة وبوابات كبيرة مزخرفة جميلة عالية الارتفاع، لا يمكن الدّخول إلى المكان إلاّ عبرها، وهي ضخمة ثخينة في متنها غرف وحجز للحرّاس والطّعام وقضاء الحاجات والسّلاح والمؤن، ولها مآذن جانبيّة مربّعة الأضلاع، ومدخلها مجوّف نحو الدّاخل مثل نصف قبّة مقلوبة، وهي تشي لرائيها بالمهاباة الموجودة فيما خلفها من بناء.

وهذا الضّريح الذي ظهر إلى الوجود عام 1652م في مدينة "آغرا" الهنديّة في إقليم "أوتار برداش"، يقع على نهر "يامونا"، وقد شُيّد كاملاً على مصطبة من المرمر الأبيض، وهو مبنيّ من الرّخام الأبيض المجلوب من "جدهابور"، وهو رخام مضلّع بخطوط زرقاء دقيقة، وقبّته مزيّنة بالرّخام والأحجار الكريمة، ويبلغ قطرها 17 م، وترتفع عن الأرض 5و22م، وسارية القبّة من الذّهب الخالص، ومآذنه الأربع البديعة هي من الرّخام الأبيض البهيّ، وارتفاع كلّ منها هو 37 متر، وهي مقامة على الزّوايا الأربع للمصطبة الرّخاميّة التي تحتوي الضريح في نصفها، وكلّ من هذه المآذن محاط في أعلاه بثلاث شرفات.

وعلى جدران الضّريح رسم الخطّاط سردار أفندي سورة يس، أمّا قبري الامبراطور وزوجته فهي مصنوعة من الرّخام المرمر، ومزيّنة بعدد لا حصر له من المجوهرات واللّؤلؤ والياقوت، وهما يقعان تماماً تحت وسط قبّة الضّريح.

و"تاج محلّ" ليس ضريحاً حسب؛ فالضّريح هو المبنى المربّع الذي يربض في نصف المصطبة الرّخاميّة، ومن غربه وشرقه هناك مبينان متشابهان تماماً على نيّة التّناظر الهندسيّ، أحدهما مسجد يحتوي على 569 سجادة للصّلاة على رخام أسود، وتصميمه غير معقّد، وله رواق طويل تحفّه قباب ثلاث تشبه تلك القباق الموجودة في المبنى المناظر للمسجد الذي يحمل اسم "جواب"، ويستخدم داراً للضّيافة.

والصّلاة في مسجد ""تاج محلّ" لها نكهة خاصّة؛ فهي صلاة في أحضان الأبّهة والجمال المطلق المنشود، وهي صلاة تجمع ما بين العشق الإلهيّ والخضوع للخالق والعشق الآدميّ الذي أُشيد المكان لأجله. وهناك خلق كثير من المسلمين الذين يزورون المكان، يصلّون صلاة تحيّة المسجد فيه، فيما يقف غير المسلمين يطالعون صلاتهم بوصفها جزءاً من اكتمال

طقوس هذا المكان المسلم في غابة هندوسيّة زعفرانيّة كبيرة تمتدّ عبر جغرافيا الهند.

و"تاج محلّ" الذي يُطلق عليه أحياناً لقب تاج القصور، قد أُدرج في قائمة اليونسكو للتّراث العالميّ منذ عام 1983، واسم "تاج محلّ" محرّف عن اسم الامبراطورة "ممتاز محلّ"، وهو نموذج للطّراز المعماريّ الإسلاميّ المزيج بين المعمار الفارسيّ والمغوليّ والتّركيّ والعثمانيّ والهنديّ

وقد أمر الامبراطور بالشّروع في بناء هذا الضّريح بعد عامين من وفاة زوجته الحبيبة، وقد أولى مهمّة إنشائه للمعماريّ عيسى شيرازيّ و للمعماريّ أمان الله خان شيرازيّ، أمّا قبّة الضّريح فقد خطّط لبنائها محمد إسماعيل أفندي القادم من اسطنبول، في حين قام سردار أفندي برسم الخطوط المكتوبة على جدران الضّريح، بعد أن تمّ إحضار مواد البناء من سائر أنحاء الهند ومن التّبت والبلاد العربيّة.

ولا يمكن المرور من البوّابات الخارجيّة للضّريح إلاّ بعد المرور في عدّة إجراءات، أوّلها شراء تذكرة الدّخول إلى الضّريح، وآخرها المرور في نقاط تفتيش كثيرة ودقيقة؛ فالحرّاس لا يسمحون لأحد بأن يدخل إليه وفي حوزته أيّ جسم أو آلة يمكن أن تجرح بناء الضّريح أو أرضه، ويفرضون على من يدخل إليه أن يأخذ جملة من الأمور للمحافظة على الضّريح، وأهمّها خريطة للمكان، وخفين قطنيين للاستعمال الواحد من أجل لبسهما منذ أوّل لحظة تطأ القدم فيها أرض الضّريح كي لا تجرح مصقول ملمسة اللاّمع الفتّان.

ومن عادة الهنود أن يزورا الضّريح كثيراً، وتذاكر دخولهم إليه رمزيّة زهيدة، أمّا غير الهنود فيدفعون مبالغ طائلة لقاء دخولهم إلى المكان، ولكنّهم ينسون ما دفعوا من مال طائل عندما يطلّ الضّريح عليهم بسحره وفتنته، ويغرقون في أطياف ألوانه البهيّة التي تهبه اللّون الورديّ في الصّباح، والأبيض الحليبيّ في المساء، والذّهبيّ في اللّيل عندما ينعكس ضوء القمر عليه.

ولا بدّ للزّائر للضّريح من أن يصل في نهاية مطاف الرّحلة إلى غرفة دفن الامبراطور وزوجته حيث ينداح قبران متجاوران من المرمر المحفور مزخرفان بالزّهور والزّخارف الإسلاميّة، والخلق يتجمّعون هناك في دهشة من هذا الحبّ العظيم الذي أنتج هذه التّحفة الخالدة التي غدت واحدة من

عجائب الدّنيا السّبع، ويتبادلون الأحاديث حول العشق وأهله ومصائر العشّاق ومآلات المحبّين، ويروي كلّ منهم قصّة العاشقين المدفونين في المكان بطريقته الخاصّة، ووفق ما يشتهي، ويروق له أن يكون الحبّ، وبعض الزّائرين من المسلمين يقرأون الفاتحة على روحيهما، وكثيراً ما يتمتمون بكلمات وأدعية لا أحد يستطيع أن يعرف ما تكون، وتتعالى الأصوات في المكان، وتتداخل حتى لا يكاد المرء يفهم ما يقول الآخر.

وقد قرأت وأمّي وداوود الفاتحة على روحي العاشقين، ورفعنا الأكفّ في الدّعاء، ونحن نعلم أنّ ما نقرأ الفاتحة عليه ليس إلاّ قبرين فارغين صورة لقبرين حقيقيين موجودين في غرفة محكمة الإغلاق في غرفة في أسفل القصر لأجل حفظهما من السّرقة والتّخريب، وما هذان القبران بالغرفة التي هما فيها إلاّ نسخة طبق الأصل عن القبرين الحقيقيين المحبوسين في أسفل القصر، ولكن الكثيرين من الزّائرين يجهلون هذه الحقيقة، وينبهرون بالقبرين وصاحبيهما وقصّتهما وضريحهما الأبّهة، ويجهلان الحقيقة المدفونة في أسفل القصر؛ ولعلّ لك لا يختلف كثيراً عن الحياة؛ فالمعروض البهي المدهش هو أكذوبة في أكثر الأحوال، والحقيقة مدفونة في ظلام مكان ما لأكثر من سبب، ولأكثر من حجة واهية مفتراة.

وفي الغرفة السّفليّة حيث القبران الحقيقيين تمّ توجيه وجهيهما نحو مكة، ووُضع تابوت "ممتاز محلّ" الرّخاميّ في منتصف الغرفة الدّاخليّة بالتّمام، وشكله مستطيل، وهو مرصّع بالأحجار الكريمة وشبه الكريمة، وعليه نقوش كتابية ترثي "ممتاز محلّ"، ويقع قبر زوجها الامبرطور " شاه جاهان" في الجهة الغربيّة من قبرها، وهو أطول من قبرها، وقاعدته أطول، وهو مرصّع كذلك بالجواهر، ومرسوم عليه نحوت تقليديّة، وقد كُتبتْ أسماء اللّه الحسنى على القبرين، إلى جانب نقش بارز على قبر الامبراطور مكتوب عليه "غادر من هذه الدّنيا إلى دار الخلود في ليلة السّادس والعشرين من شهر رجب".

المهمّ أنّني ومن معي قد اتقنا دور الانخداع بما أراد المسؤولون عن الضّريح أن ننخدع به، وتعاملنا مع القبرين الفارغين المزوّرين على أنّهما حقيقة، وذلك لم يمنع أمّي من أن تغتاظ بحسد أنثويّ شديد من حفاوة الموت التي حظيت بها الامبراطورة "ممتاز محلّ" من زوجها الذي بنى لها الضّريح في عام 1631م، وظلّ ينتظر اللّحاق بها، إلى أن مات، ودُفن إلى جانبها في عام 1666، بعد أن انتهى من بناء الضّريح ليكون مرقدهما الأخير، وليصبح

تحفة معماريّة إسلاميّة تخلد إلى الأبد، ويغدو جوهرة للحبّ والعمارة في الذّاكرة الإنسانيّة والتّراث المعماريّ.

وقد يظنّ الزّائر أنّ زيارة "تاج محلّ" تنحصر في زيارة مبنى ضريحه ذي الرّخام الأبيض، ولكن الزّيارة تطول في رؤية مسجد الضّريح والصّلاة فيه، وهي تحفة معماريّة تشبه في شكلها الخارجيّ شكل بناء ضريح "تاج محلّ"، إلاّ أنّه مختلف اللّون الخارجيّ.

وهناك متعة التّجوّل في بيوت الضّيافة والخدمات الملحقة بالضّريح، وهي جميعها تحف معماريّة أنيقة، وهي بذات لون المسجد، وتحتوي على العجائب والفرائد، وتشغل العقل والرّوح والذّاكرة في تأمّلها، وهناك أماكن لجواهر منزوعة قيل أنّ الإنجليز المستعمرين انتزعوها من أماكنها، وسرقوها كعادتهم فيما يسرقون من الأوطان والأعمار والبشر والحقائق.

وحديقة الضّريح تبلغ مساحتها نحو 300 متر مربّع، ويُطلق عليها اسم حديقة "شارباغ" أو حديقة المغول، والحديقة مقسّمة على الممرّات الأربعة التي تقسّم الحديقة إلى 16 روضة خفيضة ضمن أحواض زراعيّة، وفي نصفها هناك خزّان ماء رخاميّ في المنتصف بين البركة والقبر، واسمه "وعد الكوثر"، وفي منتصف الحديقة هناك بركة عاكسة لصورة الضّريح. وفي الجهة الأخرى من الحديقة هناك نوافير وأشجار.

بعد أن أنهينا جولتنا التي امتدّت لساعات طوال في المكان سيراً على الأقدام، شعرنا بالتّعب الشّديد من المشي وحرارة الشّمس التي تصلي وجوهنا المتفحّمة، جلسنا في الباحة الخارجيّة للضّريح حيث يجلس مئات الزّائرين يستظلّون بالأشجار العتيقة التي يمتدّ ظلّها لأمتار حولها، فيقصدها البشر والحيوان والطّير ليستظلّ بها، وجلس بالقرب منّا قرد أليف من قرود المكان التي تنتشر بكثرة في الضّريح، ويتناوب الزّائرون على تدليلها، وتقديم المكسّرات والموز لها، ثم انحنى رجل عجوز للقرد في حركة تعبّديّة حقيقيّة، وأخذ يتضرّع له داعياً، والقرد يحدّق به غير آبه به.

أمّا أنا وأمي وداوود، فأخذنا نرقب ألوان الضّريح التي تتغيّر على امتداد اليوم من الأبيض إلى النّيليّ فالبنفسجيّ ثم العاجيّ؛ إذ يتغيّر لون مرمر الضّريح على امتداد اليوم وفق انعكاس أشعة الشّمس عليه، وانعكاس ألوان الزّهور والأمواه التي تحيط به في برك ونوافيز طوليّة جميلة تمتدّ من بوّابة الضّريح الخارجيّة مروراً بالحدائق الدّاخليّة للضّريح حيث الزّهور الملوّنة اليانعة، ثم وصولاً إلى الضّريح والمباني المُلحقة به.

والبّوابة الرّئيسيّة للضّريح تنبثق منها بوّابة أخرى داخليّة لها إطلالة بانوراميّة كاملة على الضريح ومبانيه وحدائقه، وهي المكان الأمثل لالتقاط صورة تذكاريّة مع المكان، ولذلك يحتشد الزّائرون والمصوّرون في المكان، ويحتاج المرء لساعات من التّدافع في المكان كي يلتقط صورة فيه، ولكن الغنيمة تستحقّ العناء والانتظار.

القائمون على الضّريح يبذلون جهوداً مثالية في المحافظة على نظافته وجماله، وعمّال الحدائق يرون الزّهور والأشجار دون توقّف حتى لا تجفّ من حرارة الشّمس الحارقة، والبنّاءون لا يسمحون لعطب بأن يدبّ في ركن من أركان الضّريح، ويلاحقون ما اعتراه من اعتوار بالإصلاح والتّرميم، حتى أنّنا عندما وصلنا إلى الضّريح وجدناه في حالة إصلاح وترميم؛ فقد كان هناك ورشات عمل كبيرة في تصليح مآذنه الأربعة، ولكن ذلك لم يغلقه في وجه الزّائرين، ولم يقلّل من جماله وهيبته، ولم يترك أيّ أثر عليه من آثار أعمال البناء، بل كان في كامل ألقه وجماله ونظافته.

وقد علمنا أنّ الضّريح يفتح كلّ يوم من الصباح حتى المساء، ويفتح في اللّيل في مابين السّاعة الثّانية عشرة إلى الثّانية فجراً لأجل متابعة المنظر اللّيليّ للضّريح في ليلة اكتمال القمر، وفي يومين قبله، وفي يومين بعده، حيث تنعكس ألوان القمر والنّوافير والماء عن سطح الرّخام، فتعطيه مشهداً مذهلاً، خلا يوم الجمعة وشهر رمضان حيث يجب إغلاقه لأسباب أمنيّة.

إلاّ أن يوم زيارتنا للضّريح لم يكن من تلك الأيام المتاحة لزيارة الضّريح في اللّيل، فأسفنا لذلك أشدّ الأسف، واكتفينا بأن اشترينا صوراً وتحفاً تجسّد المكان من متاجر التّحف والهدايا التي تتدافع في صفوف طويلة في السّاحات التّجاريّة خارج بوّابات الضّريح التي تُسمّى بـ "ممتاز آباد" أو "تاج غانجي"، وهي مدينة تمّ إنشاؤها في البلدة الصّغيرة الواقعة في جنوب "تاج محلّ" لتكون لخدمة الزّوار للضّريح، وتلبية احتياجاتهم للطّعام والشّراب والرّاحة والاتّصال وتغير العملات النّقديّة وشراء الهدايا والتّحف والتّذكارات.

وراق لنا أن نختار الكثير من هدايانا للأهل والأحباب من هذا المكان البهيج، واشتريتُ لنفسي بضعاً من القلائد اليدويّة والخلاخيل الهنديّة الرّنانة، وأنا من عشّاق الخلاخيل النّسائيّة، وألبسها منذ دهر.

أسعد وداوود
ابنا أمّي نعيمة المشايخ

بقلم د. سناء الشعلان/ الأردن

أسعد وداوود ابنا أمّ بطبوطة:

لقد أعلنت أمّ بطبوطة في رحلتها هذه عن تبنّيها للباحثين أسعد وداوود ليكونا ابنين لها في الهند، وهي من تبنّت ضمناً كلّ طالب هنديّ مسلم قابلته في لقاءاتنا المتعدّدة مع طلبة العلم المسلمين في الأماكن التي زرناها في الهند؛ فأمومتها العملاقة تتّسع لجيش من الأبناء والبنات، ولو كان الأمر ممكناً لتبنّت كلّ من قابلت من باحثين مسلمين في الجامعات التي زرناها، وهي من رقّت لهم بعد أن أسروها بلطفهم وجامّ أدبهم وحسن أخلاقهم.

لكنّها أعلنت صراحة عن تبنّيها لأسعد وداوود تأثّراً بلطفهما وعونهما ومرافقتهما لنا في جولاتنا في مدينة "نيودلهي" ومدينة "آغرا"، وفرحاً بطيبتهما ودماثة أخلاقهما وجمال معشرهما وقدرتها على التّواصل معها باللّغة العربيّة الفصيحة التي يجيدانها إجادة بادية، حتى أنّها تستطيع أن تثرثر معهما بكلّ أريحيّة وحبور.

وقد انتخبت الأقدار أسعد ليكون رفيقنا في هذا الدّرب؛ وهو من عرفني قبل أن أعرفه، واختارني قبل أن أختاره، وتواصل معي قبل أن أتواصل معه؛ فقد اختار أن تكون أطروحته في الدّكتوراه عن منجزي القصصيّ بعنوان "المقاومة في قصص سناء شعلان: دراسة تحليليّة" بإشراف صديقي د. مجيب الرّحمن، ليكون بذلك أوّل باحث أكاديميّ يكتب عن إبداعيّ في الهند وكشمير قبل أن يكون هناك فتحاً من الدّراسات الأكاديميّة المتخصّصّة عن منجزيّ الإبداعيّ في حقوله المختلفة، فضلاً عن أنّ أسعد كان أوّل هنديّ أتواصل معه في حياتي، عندما طارتْ إليّ رسالة الكترونيّة منه، وسرعان ما أصبح صديقاً أثيراً لي في الهند.

وقد جاد عليّ بحسن رفقته، وبوقته، وبتزويدي بكلّ معلومة أبحث عنها في الهند، على الرّغم من انهماكه في إعداد إطروحته للدّكتوراه، والتزامه بعمله مع أسرته في أعمال البناء والعقارات في منطقة جامعة "نجار"، ورعايته لابنه الصّغير عمر ولزوجته الحامل بطفلهما الثّاني إبراهيم.

أمّا داوود فقد انتخبه د. مجيب الرّحمن من طلبته النّجباء ليكون ممثّلة في ترحاله معي في الهند؛ وقد أحسن د. مجيب بهذا التّمثيل؛ إذ اختار لي شخصاً لطيفاً حاذقاً ومحبّباً إلى النّفس وسريع البديهة؛ ولا عجب في ذلك؛ إذ إنّ د. مجيب الرّحمن ذوّاقاً في السّلوك والرّؤية والأداء والتّواصل واستخدام اللّغة الجميلة المؤثّرة في اللّغة العربيّة والإنجليزيّة والهنديّة.

أنا وأمّي نعيمة المشايخ في حفل زفاف هنديّ

بقلم د. سناء الشعلان/ الأردن

الأحمر بالأحمر والبادئ أجمل:

الأحمر عند الهنود يحيل دائماً إلى اللّون البرتقاليّ الزّعفرانيّ الذي يُعدّ لون الهندوس المقدّس الذين اتّخذوا منه لوناً وصفة لدولتهم واتّجاهاتهم العقيديّة والفكريّة حتى وُصفت دولتهم بـ"الدّولة الزّعفرانيّة"، وهذا اللّون يتّخذه رجال دينهم لوناً لملابسهم، كما يتّخذون الزّهور البرتقاليّة "زهور غيندا/ زهور الأذريون" زهوراً مقدّسة لا تتمّ الكثير من العبادات والطّقوس والشّعائر الهنديّة إلاّ بها. واللّون الزّعفرانيّ يدخل حتى في ألوان العلم الهنديّ.

وهذا اللّون البرتقاليّ يرمز عند الهندوس إلى التّضحية ونكران الذّات والفداء والإيثار، ونبذ الأنانيّة والمصلحة الشّخصيّة والفرديّة، كما يرمز إلى عدم الانحياز.

لكنّني لم أكن أفكّر بهذا اللّون ومعانيه عندما اخترتُ ثوبي الفلسطينيّ ذا التّطريز الحريريّ الأحمر لألبسه في حفل زفاف ابنة الحاجّ عبد الرّحمن، ولا كانت أمّي تفكّر بمعاني اللّون البرتقاليّ عند الهندوس عندما لبست جلبابها الأحمر لتعبّر به عن فرحها بحضور هذا العرس، وما كنّا نعتقد حينها أنّ العروس الهنديّة الجميلة تلبس في زفافها "سارياً" تقليديّاً أحمر جميلاً بديعاً، وتُشعّ بالحنّاء وحليّ الذّهب البرّاقة وبمساحيق زينة وتجميل متناسقة مع ردائها الأحمر القاني بجمال يحبس الأنفاس.

لقد لبسنا الأحمر يومها بالصّدفة المحضة، وتفاجأنا بأنّ العروس تلبس اللّون الأحمر كذلك، وظننّا عندها أنّ هذه مصادفة جميلة، لكن علمنا فيما بعد أنّ من آداب حضور حفلات الزّفاف في الهند أن لا يلبس أحد من المدعوّين أو المدعوّات اللّون الأحمر؛ لأنّه حكر على العروس في هذه اللّيلة، تماماً كما يُشان أن يُلبس الأسود والأبيض في الحفل؛ لأنّهما لونا

حداد في الهند، ويجلبان سوء الطّالع كما يعتقد الهندوس، ويفضّل أن يلبس الجميع الألوان الزّاهية البهيجة التي تعكس فرح الجميع بهذه المناسبة المفرحة.

ولكن للمصادفة البحتة غير السّارة، فقد اخترقتُ وأمّي أوّل قاعدة في حضور حفلات الزّفاف الهنديّة، ولبستْ كلّ منّا اللّون الأحمر، فكنّا أكثر احمراراً به من العروس ذاتها! لكن لا أحد أبدى لنا أيّ ملاحظة انتقاد حول ذلك، إلاّ أنّنا عرفنا هذه القاعدة بعد انتهاء حفل الزّفاف، وحمداً لله أنّنا لم نعرف عنها في الزّفاف؛ إذن لتنغّص فرحنا بالحفل، وشعرنا بالخجل والإحراج من سلوكنا هذا.

لقد كانت حفل الزّواج في حديقة جميلة اسمها "سيّد العجائب" أو حديقة "الحواس الخمس"، وهي حديقة شهيرة في مدينة "نيودلهي" لإقامة الأفراح، وهي حديقة لا يستطيع اكتراءها سوى الأغنياء والميسيرين أمثال الحاجّ عبدّ الرّحمن والد العروس الذي تكفّل بتكاليف حفل الزّواج هذا وفق عادات الزّواج الهنديّة، وكان يقف في العرس سعيداً فخوراً بهذه الحفل البهيج الذي يؤمّه عدد غفير من المدعوّين أُسراً وأفراداً وهم يلبسون أجمل ملابس الاحتفال النّسويّة والرّجاليّة، والأطفال يتقافزون في المكان بفرح غامر، وهم يتباهون بملابسهم الجميلة الأنيقة التي تحاكي ملابس الكبار في أبّهتها الفلكلوريّة.

كان الحفل هو صورة حقيقيّة عن صور حفلات الزّواج التي تعرضها الأفلام البوليوديّة، وكانت هذه أوّل صورة حقيقيّة أراها في الواقع كما رأيتها في فانتازيا الأفلام الهنديّة، بل كان الواقع أجمل وأبهى وأكثر إسعاداً للرّوح والحواس والذّاكرة؛ فقد كانت الأضواء الصّغيرة الملوّنة في كلّ مكان في أرجاء الحديقة الكبيرة، وكانت الألوان والزّهور تغمر الفضاءات، وكان هناك مهرّجون وشخصيّات تمثيليّة تلعب أدواراً مبهجة لشخصيّات محبوبة، مثل "شارلي شابلن" وغيره من الشّخصيّات الهزليّة والطّريفة، وفي قسم الرّجال كان يجلس العريس يلبس "الشّيرواني" البهيّ الذي أعشقه، ويستحضر في ذهني أجمل صورة الرّجولة الهنديّة المؤثّرة في الحواس، أمّا في قسم النّساء، فكانت هناك العروس ذات "ساري" أحمر حارق وحشد كبير من النّساء والأطفال، فيما تقوم أمّ العروس والقريبات

بدور المستضيف والمستقبل المحتفي بالجميع، وكان استقبالهم لنا هو الأكثر حفاوة وبهجة؛ إذ أصبحتُ وأمّي محطّ أنظار الجميع، وسرت الهمهمات في المكان تسأل بفضول من نكون؟ وسرعان ما تشجّعت الكثير من النّساء ممّن يجيدن الإنجليزيّة وبعض فتات اللّغة العربيّة على أن يسألنني من نكون.

وكم كنّ فخورات بنا عندما علمن أنّ رحّالتين من الأردن؛ امرأة وابنتها تزوران حفل زفافهم، وسوف توثّقانه في الكتاب الذي تعدّانه عن رحلتهما إلى الهند، عندها توافد الجميع علينا يأخذون معنا الصّور التّذكاريّة، ويرحّبون بنا من جديد بحفاوة كبيرة، ودفء حنون، وفرح غامر.

لقد كان ذلك الزّفاف هو حفل أسطوريّ تماماً، حتى شعرتُ أنّني لأوّل مرّة أدخل حقيقة في سحر الهند، وأغوص في سحرها الفتّان، وتمنيّتُ أن لا تنقضي تلك اللّيلة يما فيها من نسائم مساء عليلة، ومباهج لا حدّ لها، كلّ شيء كان فيها مثاليّاً، حتى موائد الطّعام كانت مثاليّة كما تُوصف في حكايات ألف ليلة وليلة؛ فيها كلّ ما لذّ وطاب ممّا لم ترَ عيني من قبل، ويقوم عليها خدم كثر لطاف أنيقون يخدمون الجميع بطيب نفس وبشاشة، ويهيلون الطّعام والشّراب والسّكاكر والحلويّات والمثلّجات والماء البارد هيلاً على موائد الطّعام التي ما تكاد تفرغ حتى تمتلئ من جديد.

لم ينقص اكتمال هذا الحلم الهنديّ البديع إلاّ عدم وجود الغناء والموسيقى والرّقص في المكان، وأنا من كنتُ أتوق إلى ذلك توقاً شديداً؛ ولكن حفل الزّفاف كان لعائلة مسلمة ملتزمة بالشّريعة الإسلاميّة، ولذلك لم يكن فيه معازف أو غناء أو رقص، بل كان عرساً هنديّاً إسلاميّاً بكلّ ما في الكلمة من معنى، لا عرساً يعجّ بالرّقص والغناء كما هي أعراس الطّوائف جميعها في الهند خلا طائفة المسلمين التي تتوّخى في الغالب الالتزام بالصّبغة الإسلاميّة في سائر شؤونها ما استطاعتْ إلى ذلك سبيلاً.

ولم أجرؤ على أن أسأل ذلك السّؤال الطّفوليّ الأحمق الذي يطرحه كلّ من يزور الهند مأسوراً لسطوة أكاذيب الأفلام البوليوديّة: من منكم يجيد الرّقص والغناء.

كنتُ أتمنّى من أعماق قلبي لو أنّ والد العروس استدعى بعض محترفي الغناء الصّوفيّ الذي يشكّل تيّاراً غنائياً وموسيقيّاً عريقاً وأصيلاً في الموسيقى الهنديّة، ولكن الحفل خلا من ذلك أيضاً؛ فزاد توقي لسماع بعض موسيقى "الكارناتيك"، أو أرى بعض رقص "كاثاكالي"، أو "بهاراتاناتيام"، أو "أوديسي"، أو "كوتشيبودي".

لكن فرح والد العروس بمشاركتي وأمّي في حفل زفاف ابنته ملأني فرحاً يعادل فرح الرّقص والغناء، وهو رجل مسنّ طيب القسمات، ويلبس ملابس أنيقة، ولحيته البيضاء تشيع نوراً وسكينه في نفس من يلقاه، وهو يملك وكالة سفريّات للحجّ والعمرة في "دلهي" القديمة، ومن هذا العمل أثرى بالحلال، واستطاع أن ينفق على حفل زفاف باذخ مثل حفل زفاف ابنته، وهو حفل بهيج يسرّ القلوب، ولكن لا يستطيع أيّ والد عروس هنديّ من الطّبقة المتوسّطة أن ينفق عليه ما لم يكن ميسراً إلى حدّ كبير.

وتحمّستُ كثيراً عندما علمتُ أنّني يمكن أن أدخل إلى قسم الرّجال في الحفل لأجل أنّ أسلّم على الرّجل العروس؛ لأنّني أريد أن أرى كيف يبدو لباسه في ليلة حفل زفافه، كما أريد أن أرى ذلك الطّقس الهنديّ الغريب عن ثقافتنا العربيّة، إذ يُغطّى وجه الرّجل العروس عن عروسه بأكاليل زهور تتدلّى على وجهه، إلى حين يزفّ إلى عروسه، ويكشف عن وجهه، وهو طقس شائع عند الهنود المسلمين وغيرهم، إلاّ أنّني وجدتُ الرّجل العروس مبتسماً سعيداً مكشوف الوجه دون غطاء ورديّ، وخجلتُ أن أسأله لماذا لا يغطّي وجهه بالزّهور البيضاء الجميلة إلى حين يُزفّ إلى عروسه في نهاية الحفل وفق عادات الهنود؟

حفل الزّفاف هذا تمّت دعوتي وأمّي إليه بترتيب من داوود وأسعد اللّذين أخبرتهما برغبتي في حضور حفل زواج هنديّ بعد أن أعياني التّطفّل وأمّي على الأعراس الهنديّة الشّعبيّة التي كنّا نمر بها في تسكّعنا في مدينة "دلهي" القديمة دون دعوة أو سابق معرفة بأهلها، لنصبح محطّ أنظار الجميع وريبتهم، ولكنّنا لم نكن نبالي بذلك انتصاراً لفضول الرّحالة الذي يضجّ في جنباتي وفي روح أمّي.

أمّي نعيمة المشايخ والفيل الهنديّ

بقلم د. سناء الشعلان/ الأردن

أين الفيل؟

كنتُ وأمّي ضحيّة الخرافات السّياحيّة وأبطال الرّحلات الكاذبة التي أخبرتنا أنّ الفيلة تتجوّل في شوارع "نيودلهي"، وأنّ كلّ هنديّ يملك فيلاً يتنقّل به، وأنّ التّماسيح تجوب شوارع المدن، وتستلقي متشمّسة في الدّروب، وأنّ الحيوانات الأليفة والمفترسة تعيش جنباً إلى جنب مع الهنود الذين استأنسوها منذ دهر، وأنّ أخطر أنواع الأفاعي السّامة الفتّاكة لا تعدو أن تكون لعبة للأطفال الهنود، وأنّ الهنديّ يركض بسرعة نمر، ويشرب السّم مع طعامه، ولا يتأثّر بفعل تريقات أخذها مسبقاً في طفولتها من أنياب الأفاعي السّامة، وأنّه يستطيع أن يأكل مزرعة كاملة من الفلفل الحارّ دون أن تدمع له عين، ويجيد الغناء والرّقص، ويعيش لأجل العشق والمرح والاستمتاع بالطّبيعة الخلّابة والملابس المزركشة والحفلات البهيجة.

لكن في الهند بمجرّد أن ركبتْ أمّي "ركشا"، وكدّها اهتزازاً، وبدأت تتعرّق في شمس "نيودلهي" اكتشفتْ أنّها ضحيّة خرافات لا وجود لها، وأنّها في مدينة حضاريّة اعتياديّة، ولكنّها ظلّت تبحث عن الفيلة في كلّ مكان نذهب إليه، وتسأل عنه، فتلقي إجابة واحدة عند الجميع، وهي أنّ الفيل في حديقة الحيوانات أو في الغابات والأدغال البعيدة، فتصمتُ والدتي بخيبة أمل، فأربت على كتفها، وأعدها بأنّ تلتقي بالسّيد فيل في محطّة ما في ترحالنا في الهند، حتى ولو استلزم ذلك أن نزوره في أدغاله الكبيرة، فتبتسم لي، وتنتظر أن ترى الفيل واثقة بوعودي التي تذكّرها بوعودها

لأخي محمّد الذي كان يطالبه بصغره بأن تشتري له فيلاً ليلعب معه، ويضرب صفحاً عن سؤالها له: أين ستضع هذا الفيل إن اشتريناه لكَ؟ لا مكان له في البيت أو حتى في حديقته الصّغيرة.

لكن أمّي لم تحظَ برؤية الفيل في الهند أبداً، وظلّت تتعجّب كيف أنّها وصلت إلى الهند، ولم ترَ الفيل؛ ولذلك فرحتْ كثيراً عندما رأت ذلك التّمثال الذي على هيئة رأس فيل بجسد ولد كبير في بهو الفندق الهندوسيّ الذي كنّا نقيم فيه في مدينة "نيودلهي"، كان فيلاً بطول نصف قامة رجل مديد، يجلس بفخر وأريحيّة منصّباً فوق قاعدة حاملة له باحترام، ويحتلّ صدر البهو في مكان ظاهر، وهو فيل مبتسم حدّ وصول شقّ ابتسامته إلى أذنيه الكبيرتين، وفي عنقه عدّة أطواق من ورود "غيندا" الزّعفرانيّة الشّهيرة.

عندما رأت أمّي تمثال الفيل في بهو الفندق، أقبلتْ عليه تداعبه، وكأنّه قط أليف لا تمثال فيل أصم، لا يسمع، ولا يرى، ولا يستطيع حتى أن يشمّ أطواق الورود المعلّقة في رقبته، وكادتُ تخلع إحدى أطواق وروده؛ إيغالاً منها في ملاعبته، عندها تدّخلتُ بقلق، ومنعتها من ذلك، وطلبتُ منها أن تتعامل مع التّمثال الفيل بوافر الاحترام، أو حتى بكلّ التّجاهل في أسوأ الفرضيّات، أمّا أن تداعبه وكأنّه قطّة، وتلهو بها وكأنّه لعبة، فهذه غلطة قد تكلّفنا عمرينا لا سيما على أيدي الجهلة والغوغاء من المؤمنين به؛ فهذا التّمثال يجسّد إلهاً من آلهات الهندوس، صمتتْ أمّي قليلاً، وتفرّست في وجهي لتتأكّد من جدّية ما أقول، وعندما لاحظت القلق والجدّية في كلماتي، تراجعت عن مداعبتها للفيل الإله التّمثال، وغضّت الطّرف عنه في ذهابنا وإيابنا، وما عادتْ تسأل عن الفيلة والفيّالين ومحبّي الفيلة في الهند.

وكلّما رأت تماثيل الفيلة المدلّلة في كلّ مكان ذهبنا إليه ضربتْ صفحنا عنها، وتجاهلتها بعداء، ونفرتْ منها، وأسرعت للخروج من المكان ابتعاداً عنها، بعد أن تسألني عن مكان القبلة لتصلّي، فأحدّد لها القبلة عبر

برنامج تحديد القبلة في موبايلي الخلوي النّقال، فتشرع تصلّي صلاة طويلة أخال أنّها صلاة نكاية بالفيل، لا سيما إن كانت تصلّي صلوات نوافل.

وعندما أنتهز الفرص كي أقرّب بين أمّي والفيل الإله، تبتسم أمّي ابتسامة ساخرة تفارق طبيعتها الألوفة الحنونة، وتسألني السّؤال ذاته في كلّ مرّة: أحقّاً هم يعبدون هذا الفيل المسخ؟ فأهزّ رأسي لها بالتّأكيد العميق، فتتمتم أمّي بكلمات أجهل معناها، ثم تقول بانتفاش وارتياح: نشكر الله على نعمة الإسلام.

والفيل الإله - الذي خيّب آمال أمّي في رؤية فيل حقيقيّ يتبختر في شوارع "نيودلهي" يقوده طفل هنديّ حاذق كي ينقل أميرة جميلة إلى قصر حبيبها- هو الإله "غانيش" عند الهندوس الذي يحتفلون كلّ عام بمولده في مهرجان بهيج يستمرّ مدّة أحد عشر يوماً، وتنتهي هذه الاحتفالات بتغطيس تمثال الفيل في الماء.

والإله "غانيش" هو إله مجيد عند الهندوس وذو مكانة عندهم؛ فهو ابن الإلهين "شيفا" و"بارفاتي"، وهو برأس فيل وجسم ولد كبير، وله أربع أيدٍ، وجلده أصفر اللّون، وهو إله الحكمة والفطنة والسّلام عند الهندوس، وهو إله تيسّر الأمور، ومن يزيل العراقيل من حياة عابديه.

وتروي الدّيانة الهندوسيّة أنّ أمّ "غانيش" وضعته على عتبة دارها لحراسته وهي تستحمّ، فأقفل الطّريق في وجه الإله "شيفا"، ومنعه من الدّخول إلى البيت، فقطع "شيفا" رأس الطّفل دون قصد، فنذرتْ أمّه أن تأتي له برأس جديد من أوّل من يمرّ بها، فكان الفيل هو أوّل من مرّ بها، فاستعارت الرّأس من الفيل، ومنذ تلك اللّحظة طفق الهندوس يقدّسون الفيلة بسبب الإله "غانيش". وقد علمنا أنّ هناك حديقة حيوان كبيرة في مدينة "دلهي"، واسمها "حديقة دلهي"، وقد تمّ افتتاحها في عام 1959، وتعرف باسم "شيريا غار"، وهي تحوي حيوانات نادرة؛ إذ تضمّ 127 نوعاً من الحيوانات والطّيور بما فيها الفيلة الصّغيرة والكبيرة، وتقع على مساحة 71 هكتار.

حاولت أن أقنع أمّي بزيارة الحديقة لتكحّل عينيها برؤية الفيل المنتظر، لكنّها رفضتْ الذّهاب إليها، واكتفتْ بتأمّل تمثال "غانيش" في كلّ مكان تذهب إليه، كما شمتت بذلك الإله الفيل الذي بحجم طفل صغير عندما وقع من يد صاحبه الذي يحمله، وانكسر، عندها لم أرَ حزناً أو خجلاً على وجه الهنديّ العابد له، إلاّ أنّه جمع أشلاءه المكسّرة دون تأثّر، وأبعدها عن الدّرب، وسار مبتعداً، وقدّرتُ أنّه طار نحو متجر لصنع التّماثيل الآلهة ليشتري إلهاً جديداً له كي يكمل به طقوس عيده.

وعجبتُ أيّما عجب من الهنديّ الذي يعيش في حضارة القرن الحادي والعشرين بما تحمّل من تفجّر علميّ وحضاريّ ومعرفيّ وتواصليّ، ثم يصدّق أنّ ربّه إله مصنوع على يدي حرفيّ ما، ثم يدفع ثمنه من أمواله، ويحمله لينصّبه في مكان ما كي يعبده، ويطلب عونه، وهو من يحتاج العون، وزاد عجبي عندما رأيتُ علماء أجلّاء يديرون دفّة الحضارة الهنديّة بل والعالميّة في حقول المعرفة والعلم، ومن ثم يخرجون من مختبراتهم العلميّة وجامعاتهم ومصانعهم ووحداتهم العلميّة والإداريّة والبحثيّة، وينحنون لإله صنم، أو شجرة، أو حيوان، أو نبات، أو ذات ما، ويصدّقون أنّ الإله أشطارٌ مشطّرة على ملايين الآلهات التي يعبدونها في كلّ مكان، ويتفنّون في استعطافها، واستدرار عونها ورحمتها بهدايا لا تأبه بها، وتذهب إلى جيوب السّدنة والكهنة وخدّام المعابد والقائمين عليها.

العالم الهنديّ الهندوسيّ أو البوذيّ يترك عقله في المختبر، ويخرج إلى الحياة دون عقله؛ فيصدّق ما يصدّقه السّذّج والدّهماء والحمقى، ويؤمن بما يؤمنون، ويخلص للعادات التي يخلصون لها، ولا يفكّر للحظة في أن يُعمل عقله ولو لدقيقة في التّكفير فيما يعبد من آلهات لا تضّر، ولا تنفع، ولا وجود لربوبيتها إلاّ في ذهنه المعطوب على الرّغم من أنّ فيه مساحات للعبقريّة التي تتعطّل أمام إله فيل أو شجرة أو قرد.

أمّي نعيمة المشايخ تفتتح مدينة كلكتا

بقلم د. سناء الشعلان/ الأردن

أمّ بطبوطة تفتتح مدينة "كلكتا":

كنتُ أتخيّل وأمّي أنّ المشاركات العلميّة في رحلتنا في مدينة "كلكتا" ستكون من نصيبي فقط دونها، في حين الحضور والدّعم لي والفخر بي هو سيكون النّصيب الدّائم لأمّي في هذه الرّحلة، ولكنّني تفاجأتُ بأنّ قلب النّشاطات العلميّة جميعها في قسم اللّغة العربيّة في جامعة "كولكتا" د. محمد إشارت علي ملّا قد اختار لأمّي أن تقدّم ورقة عمل في مؤتمر "نهرو وآزاد والدّول العربيّة والفارسيّة" لطفاً منه وحنواً على أمّي التي تزور مدينتهم لأوّل مرّة في حياتها، وتفاجأتُ بأنّ أمّي رحبتْ بالأمر بحماس، على الرّغم من أنّها لم تحضّر أيّ ورقة علميّة لذلك، كما فعلتُ أنا تحضيراً لحضوري لأكثر من فعاليّة عمليّة في مدينة "كلكتا"، وفي أوّل جلسات المؤتمر وقفت أمّي أمّ بطبوطة بفخر وزهوّ، وشرعت تلقي كلمتها بكلّ ثقة واعتزاز وفرح، وكأنّها قد فتحتْ "كلكتا"، بدتْ لي عندها أطول قامة بنحو شبر ممّا هي عليه، وشعرتُ بأنّها تملك اعتزاز فارس يمتطي جواده الأصيل، ويمدّ رقبته للمستقبلين ليطوّقوه بقلائد الزّهور "غيندا" البرتقاليّة.

كم كانت أمّي أمّ بطبوطة بهيّة جميلة فضيحة في ذلك اللّقاء! وكم شعرتُ بالفخر لأنّها أمّي! وهي أوّل امرأة رحّالة عربيّة فصيحة تفتح "كلكتا" بكلماتها وبقلبها الكبير المحبّ الذي شرع سريعاً يمارس أمومته المعتادة مع طلبة وطالبات جامعة "كولكتا" الذين أحبّتهم حبّاً جمّاً.

وشعرتُ بالامتنان لـ د. محمد إشارت علي ملّا الذي أفرح قلب أمّي بهذا الاحتفاء الدّافئ بها، وهي المولعة بندوات العلم ومحافل العلماء. بعد ذلك شعرتُ بامتنان أكبر له عندما علمتُ أنّه قام بعد مغادرتي للهند

بالتّعريف بأدبي في أكثر من محفل علميّ وأدبيّ في وطنه، وقدّم في مؤتمر متخصّص في جامعة "بنغا" الهنديّة في "مالدوه" في "بنغال الغربيّة" دراسة نقديّة عن أدبي للأطفال بعنوان "ربط الحاضر بالماضي في قصص الأطفال عند الأديبة سناء شعلان".

كانت لي كلمة ضيف شرف وإدارة جلسات في أكثر من مؤتمر في "كلتكا"، كذلك كان لي محاضرات خاصّة في قسم اللّغة العربية في جامعة "كولكتا" بعنوان "كيفيّة تعلّم العربيّة وتعليمها"، فضلاً عن تقديم أوراق بحثيّة في ندوة دوليّة بعنوان "التّقريب بين المذاهب وتجليّاته في الفكر والآداب عبر العصور المغوليّة والبريطانيّة والهند المستقلّة"، وفي ندوة علميّة دوليّة أخرى بعنوان "نهرو وآزاد والدّول العربيّة والفارسيّة".

كان الحضور من الهنود ينظرون بإكبار لي؛ لأنّني أجيد لغتي بفصاحة أقلّبها بنجاح في أبحاثي ودراساتي وأعمالي الإبداعيّة والنّقديّة، وما في إتقان المرء للغته فضل، وإنّما هو واجب وحاجة ملحّة وانطلاق من احترام الذّات ومعرفتها، أمّا أنا فكنتُ أنظر إليهم باحترام كامل؛ لأنّهم أجادوا اللّغة العربيّة، وهم ليسوا من أهلها؛ ورائدهم في ذلك حبّهم للعربيّة وأهلها وإخلاصهم لدينهم الإسلاميّ، على ما في تعلّمهم ذلك من عناء ومشقّة وتضحيات طويلة قاموا بتقديمها عن طيب خاطر لأجل أن يتعلّموا العربيّة بطلاقة، وينافسوا أهلها بها، ويبزّون الكثير من بنيها بفصاحتهم فيها.

كان هناك بحر متلاطم من الرّؤى والأفكار في تلك اللّقاءات الفكريّة القيّمة، وكنتُ أتأمّلها بصمت، ويزداد إيماني بأنّ أيّ استزاده في العلم والمعرفة توصل صاحبها إلى حقيقة مقدّسة واحدة، وهي أنّه لا يعرف شيئاً مقابل الكثير الذي يكتشفه في هذا العالم الممتدّ الصّغير الكبير في آن.

كان الجميع ممّن يسمعون كلامي وآرائي في جامعة "كولكتا" يعتقدون أنّني أعلّمهم بعضاً من أسرار اللّغة العربيّة، ولكنّني كنتُ أتعلّم منهم أكثر؛ فقد تعلّمتُ في الحياة أنّ خير معلّم هو من يجيد أن يتعلّم ممّن يقابلهم، ويأخذ منهم علماً ومعرفة مقابل ما يعطيهم منها، وهذا أمر أجيده بكفاءة، أيّ أن أتعلّم دون توقّف، أو هدر للفرصة المواتية لذلك.

البخاريّ ابناً لأمّي نعيمة المشايخ في مدينة السعادة

بقلم د. سناء الشعلان/ الأردن

البخاريّ ابناً لأمّ بطبوطة في مدينة السّعادة:

لا تنفكّ أمّي تمارس موهبة الأمومة التي تجيدها إلى حدّ محيّر؛ فهي خُلقتْ لتكون أمّاً، إلى حدّ أنّني أعتقد أنّها قد وُلدتْ أمّاً صغيراً، ثم كبرتْ سريعاً، لتغدو أمّاً في سنّ الأمومة.

لقد احتضنتْ أمّي من جديد الطّلبة والطّالبات الهنود الذين قابلتهم في جامعة "كلكتا"، وفي رحلاتنا في أرجاء "كلكتا"، وكانت تغمرهم بمحبّتها التي يردّونها لها محبّة واحتراماً والتفافاً حولها، إلاّ أنّها تخيّرت عُبيد الرّحمن البخاريّ ابناً لها في "كولكتا" بعد أن ودّعت ابناها أسعد ودواد في "نيودلهي" مكرهة موجوعة من فراقهما.

وعُبيد الرّحمن البخاريّ صورة مشرّفة من صور طالبي العلم المسلمين في "كلتكا" الذين يسلكون سبيل العلم المجهد المضني في سبيل الوصل إلى الصّورة المثاليّة التي يصل إليها العلماء الهنود المسلمين الذين قابلت الكثير منهم في رحلتي إلى مدينة "كلكتا"، فقد قابلتُ هناك علماء من أرجاء مختلفة من الهند ومن بنغلاديش وأفغانستان ومن أماكن أخرى من العالم حيث يستقرّ بعض الهنود المسلمين خارج وطنهم لأسباب كثيرة.

لقد راقت لي ولأمّي صحبة عُبيد الرّحمن البخاريّ؛ فكان رفيق دربنا في "كولكتا" مهما رافقنا غيره في أيّ وجهة من وجهاتها، وهو المؤدّب الخلوق الذي يفخر بأنّه قد حجّ إلى بيت اللّه الحرام في عام 2014، وأنّه قد اعتمر لأكثر من مرّة، وهو يهبّ للمساعدة في أيّ أمر كان طلباً للأجر والمثوبة، وينحاز للإسلام والمسلمين؛ ولعلّ ذلك يفسّر انقطاعه للعمل التّطوّعيّ في الجمعيّات التّعليميّة والخيريّة، كما هو واسطة بين الفقراء والأغنياء الذين يصمّم على أن يأخذهم إلى بيوت الفقراء ليتصدّقوا عليهم بأنفسهم دون وساطة أحد؛ إذن إنّ العائلة المسلمة الفقيرة تحتاج مبلغاً زهيداً

لا يتجاوز الثّمانين ألف روبيّة سنوياً (1000 دولار) كي تعيش مستورة بعيدة عن العوز والفاقة، ولكنّها لا تجد هذا المبلغ الصّغير على الرّغم من ذلك.

وهو يلقي الدّروس الإسلاميّة والخطب في المساجد في "كلكتا" وقراها وضواحيها، ويخرج في سبيل الدّعوة الإسلاميّة في غرب "البنغال"، و"مدني فور"، و"هورة"، و"هوغلي"، و"مرشد آباد"، و"مالدة"، و"اترا ديناجفور"، و"كشن غنج"،و"بيهار"، وغيرها من ديار الهند.

لقد ضحّى "عُبيد الرّحمن البخاريّ" بالكثير من وقته لأجل أن يرافقني وأمّي في رحلتنا في "كلكتا" حبّاً منه بالعلم والعلماء والأدباء والمسلمين والضّيوف الذين يطرقون مدينته وجامعته، وهو من يحمل أعباء رعاية أسرته وابنه سعد، وعليه فروضاً دراسيّة في أطروحته، ويعمل في تجارة الأسماك لإعالة نفسه وأسرته والإنفاق على دراسته وجولاته في الدّعوة إلى الإسلام.

لكنّه كان مشغول الذّهن والخاطر بتلك الفيضانات المأساويّة التي ضربت منطقة "مالدة"، ومعظم سكّانها من الفقراء المسلمين، فقتلتْ منهم من قتلتْ، وشرّدتْ منهم من شرّدتْ، وهدمتْ بيت من هدمتْ بيته، وزادتْ الجميع فقراً فوق فقر، وعوزاً فوق عوز، ولا معين رسميّ أو فرديّ لهم، إلاّ القليل الذي لا يكفي، ولا يسدّ الحاجة.

والكثير من المسلمين الهنود ظلّوا يعملون في مهنة الزّراعة التي تغمس الكثير منهم في الفقر، ومردّ ذلك إلى أنّ الكثير من المسلمين المثقّفين والمتعلّمين قد هاجروا في عام 1947 إلى باكستان المسلمة بعد تقسيم شبه القارّة الهنديّة، وهذا أدّى إلى خلخل واضح في تركيبة السّكّان المسلمين في الهند؛ إذ ظلّ معظم المسلمين في المناطق الرّيفيّة الأقلّ حظّاً في العلم والثّقافة والغنى والرّفاهيّة والحرّيّة والتّقدّم، وهذا أدّى إلى تدهور الأوضاع السّياسيّة للطّائفة المسلمة التي تشهد ضعفاً في قوّتها السّياسيّة المؤثّرة في الهند، بعد أن غدت معظم الوظائف الإداريّة العليا في الهند من حصّة العلمانيين والهندوس والبوذيين.

لكن عُبيد الرّحمن البخاريّ كان لا يفقد أمله أبداً في استجلاب الدّعم والصّدقات من الصّالحين، ويظلّ يتحدّث بحماسة وإيمان بضرورة دعم المسلم لأخيه المسلم، ويزيده لباسه الهنديّ الأبيض هدوءاً وثقة وإيماناً،

وهو يتحدّث بوقار، ويلبس قلنسوته القطنيّة البيضاء، وثوبه البنجابيّ الأبيض الذي يعلوه صدريّة سوداء طويلة.

استحمام التّعاسة في مدينة السّعادة:

زرنا ثلاثتنا أنا وأمّي وعُبيد الرّحمن البخاريّ مرافقنا الدّائم في "كلكتا" بعض الأحياء الفقيرة فيها، حيث يكثر المسلمون الهنود في مثل هذه الأحياء، مثل أحياء"شارع زكريا"، "وكولو تولة"، و"تالتلا"، و"تانتي باغ"، و"بارك سركس"، و"تبسيا"، و"خضر فور"، و"متيا بروج"، وغيرها.

كان الحي الذي زرناه حيّاً فقيراً جدّاً أكثر مما يمكن أن يتخيّل المرء أن يكون الفقر عليه، والبؤس يفيض من كلّ تفصيل من تفاصيله؛ فعاد إليّ شعور الامتعاض والاختناق الذي تضاءل من قبل حدّ الاختفاء لكثرة ما عاينتُ من شقاء وبؤس وفقر في الهند، ولكن عطفي الدّينيّ الخاصّ على إخواني الهنود المسلمين جدّد أحاسيسي التي ظننتُ أنّها تبلّدت في الهند؛ وشكرتُ الله على ذلك؛ لأنّ التّبلّد والاعتياد هما ردّا الفعل الطّبيعيين في الهند في إزاء عجز شبه كامل عن المساعدة أو تغير الأحوال الكارثيّة هناك.

فكلّ من يعيش هذه التّفاصيل بشكل يوميّ، ويعانيها في كلّ لحظة يؤول مكرهاً إلى التّبلّد واللامبالاة، وفي هذه اللّحظة بالذّات يكون اكتمال موت إنسانيته.

وقد خلتني أكاد أنعى مشاعري وتعاطفي في الهند، لكن مشاهد أحوال المسلمين الفقراء فيها جدّدتْ شعوري بالأسى والحزن والألم والحنق على المال الإسلاميّ العالميّ الذي يسير في الدّروب جميعها إلا في درب مساعدة هؤلاء الهنود المستضعفين.

لفت نظري مرأى أولئك الرّجال والأطفال الصّغار ذكوراً وإناثاً وهم يستحمّون في الشّارع على مرأى من الجميع، استغربتُ من فعلهم هذا، فالرّجال يجلسون على كراسي خشبيّة، ويستحمّون جالسين عليها، ويغرفون الماء من إناء بلاستيكيّ قديم، ويغسلون أجسادهم به وهم عرايا إلاّ من مئزر يستر عوراتهم، أمّا النّساء فتحمّم الأطفال ذكوراً وإناثاً في الشّارع وهم عرايا أمام الجميع.

عندما جزعتُ من هذا المنظر الذي رأيتُ فيه استباحة لإنسانيّة المستحمّين وانتهاكاً لإنسانيتهم، نظرتْ إلى عُبيد الرّحمن البخاريّ بدهشة،

وسألته: لماذا يستحمّون في الشّارع؟ لماذا لا يستحمّون في بيوتهم؟ أليس الاستحمام في الحمّام أفضل؟

حدّق عُبيد الرّحمن البخاريّ في وجهي، وكأنّه يريد أن يتأكّد من أنّني جادّة في أسئلتي هذه، وعندما أدرك جدّيتي من تعلّق عيني بعينيه منتظرة للإجابة، أيقن أنّني لم أفهم حقيقة ما يحدث حولي، فقال لي بأسىً: هؤلاء ليس عندهم بيوت ليستحمّوا داخل حجرها أو حمّاماتها. هؤلاء يعيشون في الشّارع. يمضون حيواتهم كاملة في الشّوارع؛ فهم معدمون تماماً، وقلّما يعينهم أحد في الحياة.

سقطت إجابة عُبيد الرّحمن البخاريّ مثل صفعة على روحي، وغرقتُ في صمت متأمّل مؤلم، دون طرح أيّ سؤال آخر، فقط اندحتُ في تأمّل عميق مؤلم أشاطر الوجع فيه مع أمّي التي تكدّرت قسماتها، وهي ترى أوضاع المسلمين الفقراء في الهند، وتتبادل معي تلك النّظرات التي تعني أيّ شيء إلاّ أنّها سعيدة؛ ففي مدينة السّعادة الاستحمام يكون في منتهى التّعاسة للمسلمين الفقراء، ولغيرهم من الفقراء من أيّ طائفة كانوا؛ فالهند محرقة كبرى للفقراء والمنكودين والمسحوقين.

ظللتُ أراقب أولئك الهنود المسلمين السّائحين في دروب البؤس، ولفت نظري ملابس المسلمات التي هي مزيج من لباس هنديّ وعباءات خليجيّة وأغطية رؤوس ملوّنة من مصادر تراثيّة مختلفة، وهناك مسلمات كنّ يحرصن على تغطيّة شعورهنّ، وستر نحورهنّ وخصورهنّ وبطونهنّ، ولكنّهن في الوقت ذاته يجهلن أنّ عليهنّ أن يسترن أذرعهنّ، فترى الأذرع ظاهرة سهواً منهنّ، وباقي الجسد محتشم ورع.

ونحن نخرج من أحياء المسلمين في "كولكتا" كانت تلك الخرق الملوّنة ترفرف على جذوع الأشجار العتيقة التي تظلّل الحواري القديمة؛ لقد كانت مربّطة بالخرق الملوّنة التي تمثّل نذوراً معلّقة على الأشجار في انتظار الاستجابة لها من الرّب، وما عرفتُ أيّ رب هو المقصود بها؟ أو أحد آلهة الهندوس الكثيرة؟ أم إله المسلمين الواحد الأحد؟

لم أجهد نفسي في الحصول على إجابة؛ إذ تتساوى الإجابتان في تلك اللّحظة ما دام هناك جهل يصل بالعقل الإنسانيّ إلى تصديق أنّ خرقة قماش ملوّنة قد تكون صلة لمخلوق بخالقه.

وخطر في بالي أن أشاكس الخرق الملوّنة، وأن أفكّها جميعاً بشقاوة الأطفال، وأن أولّي هاربة، ولكنّني خشيتُ مغبّة ذلك؛ فكيف أمازح أناساً في قناعاتهم ومعتقداتهم على أرضهم؟ فآثرتُ الحكمة والجبن والصّمت؛ فهي صمّام الأمان في التّرحال، وهذه قاعدة ذهبيّة أخرى من قواعد التّرحال، وهي الحذر والصّمت والتّعامل بحكمة مع معتقدات الآخرين واحترامها أكثر ممّا هو معتاد بمنطق أنّ من يقف على أرضه أقوى ممّن يعبرها زائراً لها.

ولذلك زاد صمتي وعجبي ونحن نسير في حيّ من أحياء الهندوس في المدينة، عندما رأيتُ النّاس تتجمهر حول شجرة صغيرة جرباء صفراء الأوراق، وهناك أطباق شموع وهدايا وفواكه ونذور حولها، وبعض السّاجدين لها يتمسّون بالأرض المزبلة حولها، وعندما سألتُ عمّا يحدث مع هذه الشّجرة الضّئيلة التي لم ترق لي بصفرتها وقزميتها؟ كانت الإجابة أنّها شجرة إله عند طائفة من طوائف الهند، وأنّهم يعبدونها، ويطلبون عونها ورضاها.

لم أبال بالسّؤال عن اسم تلك الطّائفة العابدة للشّجرة الجرباء، ولم أسألك كذلك عن اسم الشّجرة المعبودة؛ فالهند أرض الطّوائف والعبادات والملل والنّحل والآلهة المتعدّدة، جميعها تبلغ الآلاف المؤلّفة؛ آلاف من الطّوائف، وآلاف من العبادات، وآلاف من الملل والنّحل، وآلاف من الآلهة المعبودة، وملايين من العابدين، ولا يزال الحال ذاته؛ فقر وضياع وتفرقة وعنصريّة وطبقات وظلم وحرمان، وزد على كلّ ذلك شجرة جرباء صفراء الأوراق قزمة القامة لاتأكل ولا تنمو على الرّغم ممّا يقدّم لها من رعاية وطعام وتقديس ممّن يعبدونها الذين يحرمون أنفسهم من الطّعام، ويقدّمونه لها قرابين وهدايا، فلا هي تستفيد منها، وتخضرّ وتنمو، ولا هي تتركها لهم ليتقوّا به على حيواتهم البائسة!

حمدتُ الله أنّ أشجار الزّيتون والمشمس والليمون والعنب والزّهور الجوري في بيتي في الأردن لا تعرف عن ترّهات عبادة الأشجار في الهند؛ إذن لتاهت علينا عندها، وحبستْ ظلّها وأوراقها وثمارها اللّذيذة عنّا حتى نعبدها، ونقدّسها، ونسجد لها، ونقدّم لها بعضاً من طعامنا؛ فالأشجار كذلك غيورة مكيودة كما تبيّن لي في الهند!

شروط النشر وقواعده في مجلة (المشاهد)

الصادرة من مركز البحوث الإسلامية، لكناؤ، الهند

يسرُّ مجلة المشاهد أن تُعلِنَ للباحثين الكرام أنها تنشُرُ البُحُوثَ في مجالات مختلفة من العلوم والمعارف وفق الشروط الآتية:

١. أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:

أ. عنوان البحث باللغتين العربية والإنكليزية.

ب. اسم الباحث باللغتين العربية والإنكليزية. ودرجته العلميَّة، وشهادته.

ت. بريد الباحث الإلكتروني.

ث. مفاتيح الكلمات (keyword) باللغة العربية.

٢. أن يكونَ مطبوعًا على الحاسوب بنظام ms word وتُزوَّد هيأة التحرير بنُسخةٍ منهُ.

٣- أن يكون مزودا بالمصادر والمراجع.

٤ - أن يكون حسب المناهِج العلمية والأكاديمية المعروفة في العصر الحاضر.

٥. أن لا يزيدَ عدد صفحات البحث على (١٠) صفحة من الحجم (A٤).

٦. أن يلتزم الباحث بدفع أُجُور النشر المحدَّدة.

٧. أن يكونَ البحثُ خاليًا مِنَ الأخطاءِ اللغوية والنحوية والإملائيَّة.

٨. يُطبع البحث ببرنامج (Word) وتوضع الرسوم أو الأشكال، إن وُجِدت، في مكانِها منَ البحثِ، على أن تكونَ صالحةً مِنَ الناحيةِ الفنيَّة للطباعة.

٩. أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامِها على النحو الآتي:

أ. اللغة العربية: نوع الخط (Al-Mohanad) وحجم الخط (١٥).

ب. عناوين البحث (١٨) فونت.

١٠ـ أن تكونَ هوامش البحثِ بالنظم التلقائي، هوامش كل صفحة على نفس الصفحة بحجم ١٢ فونت.

١١. يلتزمُ الباحث بإجراءِ تعديلات على بحثهِ وفق التقارير المرسلة إليهِ وموافاةِ المجلة بنسخةٍ مُعدَّلةٍ في مدَّةٍ لا تتجاوزُ (١٥) خمسة عشر يومًا.

١٢ - في جميع الأحوال تبقى لهيئة المجلّة حق نشر البحوث وعكسها، كما لها حقّ لتصرّفٍ بسيطٍ إذا ألحت الحاجة لذلك.

رئيس التحرير

R N I No. UP ARA/2015/61264 ISSN 2348 -716X- Rs: 25
Postal Redg. No. SSP/LW/NP- 486/2018-2020 Publicaton Date. 20-Dispatch Date. 25
By: R. M. S.Railway Post. Charbagh Lucknow. 226004

AL-MUSHAHID

ARABIC MONTHLY
Run by:
AL-EHSAN EDUCATIONAL AND WELFARE SOCIETY, LUCKNOW, INDIA

Vol. 07 Issue No. 09 October 2021

صدر حديثًا

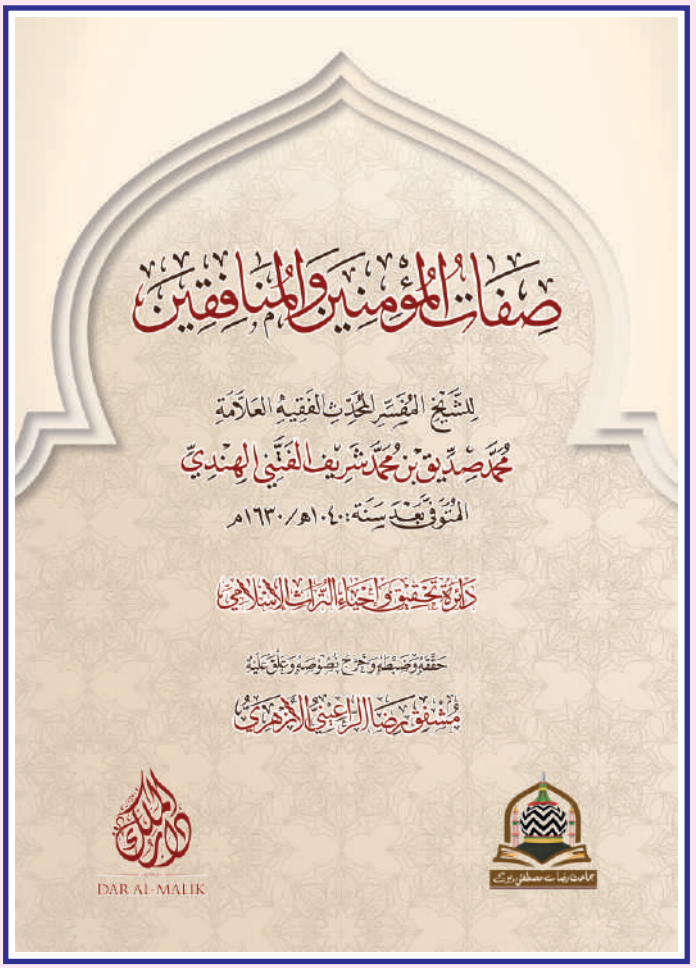

Owner, Publisher & Printer Anwar Ahmad, Printed at Cash Offset Printing
House No: 7, Shuturkhana, Maqboolganj, Lucknow & Published
From Jamiatuzzahara Lilbanat Bhikampur, Paper Mill Road, Lucknow. Pin: 226006
E-mail: almushahid2014@gmail.com, anwaralbaghdadi@gmail.com Web: www.almushahid.in
CHIEF EDITOR : ANWAR AHMAD, Mobile: +91-9450437092, Mob. WhatsApp: 7800871187